لمَاضَة مصْريَّة جدًّا

ريهام عزيز الدين

لماضة مصرية جدا
المؤلف: ريهام عزيز الدين

تدقيق لغوي: محمد مصطفى
تنسيق وإخراج داخلي: لخضر بن الزهرة
تصميم الغلاف: مروة فتحي
رقم الإيداع: 26826 / 2019
الترقيم الدولي: 978/977-85607-7-0
الطبعة الأولى: 2019
رئيس مجلس الإدارة: أ. د. محمود محمد السعيد
المدير العام: هالة البشبيشي

بريد إلكتروني: info@alhalapublishing.com
تليفون : 01110161117
العنوان: 26 ش 261 المعادي الجديدة
صفحة الفيسبوك: مركز الهالة الثقافي
https://www.facebook.com/alhalapublishing

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًّا نسخًا أو تسجيلًا أو تخزينًا، دون إذنٍ خطيٍّ من الدار.

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، و لا تعبّر بالضرورة عن رأي دار النشر.

لماضة مصرية جدا

ريهام عزيز الدين

إلى:

بنت بزعرورتين، ماشية في الدنيا بعيون مش بتبطل تسأل يعني إيه وليه وازاي و اقنعني.

بتفكك مكعبات الحياة وبعدين بترجع تركبها، مَرة تطلع متشقلبة ومَرة تطلع متظبطة، بس مش بتبطل، ولا بتعقل، ولا بتكبر لغاية ما تلاقي دنيا شبه روحها.

***

الكتاب ده فيه فيل، وشوية الرغي واللماضة دول.

الكتاب ده فيه فيل، وشوية الرغي واللماضة دول..... 7
وعملت إيه فينا السنين؟! 11
البطل الأسطوري... تسقيفة اماااال، تشجيعة اماااال!! 16
"احنا بنْكُح تراب"... الحياة ليها معنى!! 23
القرد في عين عيلته غزال! 28
"ازاي ترجعلي بقميص وسخ يا متعوس يا موكوس" 32
فطام! 34
إحنا اتربينا ع الوحدة! 37
يا صاااحبي 39
"اشرب اللبن عشان أحبك" 42
علامات!! 45
عايزين نشبع من الحاجات 47
الشعرة الرفيعة! 52
محدش بينقذ حد 57
أنا آسف/ ة، يعني إيه؟ 60
إنت عمري! 65
النساء من الزهرة والرجالة من كفر فرشوط! 69
حميمية، يعني إيه قلة أدب دي؟! 73
البُعد التالت 77
الكدب مالوش رجلين... إيه ده... ده بيمشي؟! 82
اللي يحب النبي يزق! 86
"... بس النور في نهاية النفق" 90
متولي جاد الحق عويس شبرا. 2019 93

وركبنا حصان الخيال... درجن. درجن... درجن!! 97
عاطف السُكري... الواد يتحب يا رمضان؟! 102
خلي بالك من سوسو يا محسن!! 108
حاذي في الصف يا بت يا نبجة! 114
إنتي حوطي روج!!! 120
بطلوا تقيفوا شعري على مزاجكم! 123
زوجتك ابنتي البكر!! 131
وشم 134
ماذا لو ستات العالم بكرة الصبح اتفقوا انهم مش هيلبسوا "برا" أو حمالة الصدر؟! 137
أنا الفرخة وانتو الكتاكيت 140
يعني إيه خبرة؟ 147
حيطان 153
خدي اللي يحبك... هيواى؟! 157
إجابة نموذجية 160
نظرية البطيخة 164
فين رمضان بتاع زماااااااان!! 168
كفاية بقر بقى!! 171
يا حيوان 177
توتة توتة مبتخلصشي الحدوتة 184
يعني إيه بيت؟ 186
نسيت اعمل لقلبي حجاب! 191
تاتا خطي العتبة 194
يعني إيه حُب؟! 197

لماضة مصرية جدا

وعملت إيه فينا السنين؟!

لو انت واحد من سكان الكوكب الأزرق (إحم إحم الفيس بوك) هتلاحظ إن فيه خاصية جديدة بتعمل زي تجميعة لكل الأحداث اللي مرت عليك خلال السنة اللي فاتت.

والفكرة البسيطة المبهجة اللي بتحاول إنها تتبع المستخدم زي أي مخبر لابس بالطو وماشي وراك في العالم الافتراضي بتعتمد على علم بسيط اسمه علم "تحليل البيانات".

الفكرة على بساطتها إلَّا إنها انتشرت على الفيس بوك، ورسمت دوايرمن السعادة بين الناس وهم بيعملوا فلاش باك على السَنة اللي فاتت، وبتخليهم يقَلبوا في دفاترهم القديمة عن صورليهم وهُمَ مبسوطين، أوهكذا يبدوعليهم. لحد كتابة السطوردي.

الفكرة قادرة إنها تطرح نفسها كجزء من إضفاء الحتة الإنسانية على المساحات البيضا في التواصل الإلكتروني، وخصوصًا وهي بتخلي فلاش لمبة الذاكرة ينورعلى ذكريات شيلتها معاك في شكمجية دماغك طول سَنة بحالها.

فكرة إن الإنسان يتعامل مع الزمن ويقسمه لأيام وشهوروسنين، يمكن تكون أكترالأفكارإثارة، اتولدت مع احتياج الإنسان إنه يرصد يا ترى هو بيتغير؟ طيب وهيقيس التغييراللي بيحصله ده ازاي.

الزمن في حد ذاته محدش شافه أبعد من تعاقب الليل والنهار، اللي هما إشارة واضحة وصريحة على حدوث التغييركل يوم، وإن

مفيش حاجة بتثبت على حالة واحدة، لكن الزمن بكل مصطلحاته اللي نزلت مع الباكيدج بتاعته من أيام وشهور وسنين وقسم عندك اليوم ذاته لتفريعات تانية، كل ده اجتهاد من الإنسان نفسه. بس السؤال هو ليه بيربط نفسه بالزمن اللي مش متشاف؟ ومستني منه إيه أصلًا؟

متهيألي اللحظة اللي صحي فيها الإنسان وهو عنده الإدراك إن الأرض اللي هي أكتر رمز للثبات بتتغير وبتتحرك، إذن فهو كمان بيتحرك وبيتغير.

ومن هنا اتولد عنده الرغبة الجارفة إنه يقيس التغيير اللي بيحصله على مقياس زمني، ويبتدي أقدم مهنة عرفها الإنسان بس بينكر وهي مهنة موظف الأرشيف الشاطر اللي بيشيل كل حاجة في مخازن السنين وبيعرف يسترجعها ازاي لو انت بس اديته رقم السنة واسم الملف والحدوتة اللي حصلت في توقيت معين.

بس ممارسته لأرشفة أحداث حياته بالسنين مكنشي كافي ليه كإنسان طبيعته القلق والتساؤل والشغف، لأن تراكم السنين ابتدى يطرح عليه السؤال المُلح التالي:

هي السنين عملت فينا إيه؟ ولا إحنا اللي عملنا في السنين؟ ولا فيه حد تالت جه عمل فينا وفي السنين وسابنا ومشي؟

في عمليات التجميل علشان يغروا الزبون بيقسموا الإعلان لنصين، النص الأول بيكون قبل عملية التجميل والنص التاني بيكون بعدها، علشان تقدر تقارن انت كنت إيه وياااااه اتحولت بقيت إيه.

فمتهيألي إن فيه حد وسوس لدماغ الإنسان إنه يعمل أضخم عملية تجميلية في علاقته بالزمن، ويقرر إنه يشوف نفسه هو كمان قبل وبعد عدد معين من السنين.

قبل ما شريط الفلاش باك يكر بكادراته في مقدمة رأسك، أنصحك أنك ترتدي حِزام الأمان لإنك ممكن تلاقي الآتي:

– ممكن تلاقي الكادرات من كالندر حياتك اللي كانت فيها مسارات حياتك تشبه الدايرة، بحيث كل نقطة عليها هي احتمالية للعودة للبدء من جديد، وهتفتكر مشاعر الغضب إنك عامل زي القرش الممسوح، إنك بتلف وبترجع تاني للنقطة اللي قررت انك تبعد عنها.

وفي حقيقة الأمر لو عملت زووم إن بعدسة دماغك على تفاصيل الكادر ده هتكتشف إنك صحيح كنت بترجع لنفس النقطة بس مكنتش نفس الشخص في لحظة المغادرة الأولى، عنيك اتغيرت، وفهمك لتركيبة حتت البازل اتغيرت، حتى شريط الترجمة اللي بينزل مصاحب لتفسير اللي كنت فاكر نفسك اتعودت عليه برضه اتغير. وده شيء تجميلي جميل يعني.

– هتلاقي الكادرات مصحوبة بدقات ساعة العمر العنيفة في الخلفية، واللي وقفت فيها على مفارق الطرق ومفيش أي مؤشر على الخريطة بيقولك المفروض تاخد يمين شوية، ولا تجمد قلبك وتقفز خطوة لليسار، ولا تعمل بنصيحة الفائز الأول للتائهين اللي قال لمَّا تتوه ارسم خط مستقيم من أي نقطة وامشي لأخره.

يمكن مش هتوصل لوجهتك الأصلية بس على الأقل هتوصل لنقطة ما أبعد، هتفتكر القرارت اللي وقفت فيها مفارق طرق وغالبًا

لسه برضه و اقف، والتغيير اللي حصل إن المفارق مبقتشي تخوفك ولا تاكل من روحك، اتصالحت مع كونها جزء من باكيدج الرحلة ذاته.

– هتلاقي كادرات زجزاجية الطابع، ودي الهودرات اللي قابلتها في حياتك، وكانت واخدة طابع متسلقي الجبال طالع نازل.

الأيام اللي عدت عليك وكانت مليانة بغزل البنات البمبي في كل تفاصيلها، والأيام اللي عدت عليك وهي بتتحرك زي بندول عنيف بيدق في راسك بين لونين أسود وأسود غطيس، هتفتكرها وهتفتكر معاهم إنهم كلهم بطعامتهم وبمرارتهم عدوا.

يمكن ميكونش ليك الفضل انك انتصرت، أو للأسف انسحقت فيهم، لكن اللي انت هتفتكره وده انتصارك التجميلي العظيم، إنهم فعليًا عدوا.

– هتلاقي السنين اللي تشبه الرمال المتحركة اللي غرسْت فيها وفضلت تشفطك بفعل سحرها الأسود لأبعد نقطة، لغاية ما إيد ما اتمدتلك، وقررت ساعتها إنك لازم تعاند قوة الجذب لأسفل. وطلعت عاااااش يا وحش.

– هتلاقي اللحظة المصيرية اللي بلبعت فيها كل حبوب الشجاعة الممكنة، قررت فيها تمشي في الاتجاه المعاكس لاتجاه مجاميع الفيلم، على الرغم من الخسارة المتوقعة.

إلَّا إنها كانت لحظات مش بتتكرر وفرقت معاك لأنك قررت ساعتها إنك تكون البطل الأوحد لفيلم من تأليفك انت، والسيناريو بتاعه هو عركتك اللي قررت تنتصر فيها لنفسك، ولصوت بيفضل يزن عليك علي استحياء جوه منك بعيد عن صخب الجماهير.

وانت بتتفرج على الكادرات دي، هتقدر تحط إيدك ليه انت شايل السنين دي كلها على كتفك وماشي، لأنها بلحظاتها وبكادراتها وبحواديتها اللي اتحكت واتعاشت هي اللي قدرت تخليك كوكتيل البني آدم اللي انت عليه في اللحظة الحالية.

التراكمات اللي اتخزنت جوه منك من كل كادر انت عديت عليه، هي اللي خلت منك الملف الإنساني اللي مش هتنفع معاه عملية تجميل لأنه مش محتاج لها.

هو محتاج يتفتح علشان يتقري جنب الشباك في نور النهار بعيون قادرة تفك طلاسمه، وتفك شفرة الرقم المكتوب في خانة السنين تحت بونديرة العمر اللي بيكرّ في تاكسي حياتك.

هتكتشف ساعتها مفتاح للإجابة على سؤال الرحلة اللي مش بتنتهي صلاحيتها طول ما فيك لسه نَفَس:

إحنا مين؟

***

البطل الأسطوري... تسقيفة اماااال، تشجيعة اماااال!!

الإنسان البدائي الأول كان معتقد إن حدود الكون بتقف على الكهف بتاعه، وما يحيط بيه على مرمى اقتناص الفرائس، وعلى ما يبدو أنه في يوم من ذات الأيام قرر إنه يقيّل شوية في العصاري، لكن الست حَرمه قررت إنها تشاور بصباع إيديها المدملك وتقوله: "إيه الكرش اللي بقى توأمك من كتر الأنتخة اللي بقيت فيها ده".

ويبدو إن اللي استفز الإنسان الأول مش مجرد سخرية الست حرمه، لكن السخرية ذاتها فجّرت قصاده تساؤل:

يا ترى الكون بره الكهف ممكن يكون شكله إيه ومعناه إيه؟

الإنسان الأول مكنش عنده صحاب في الكهوف المجاورة لأن العلاقة بينهم هي علاقة الغريم بخصمه، فبالتالي مكنش عنده قهوة حجرية بيتقابلوا عليها وبيضيعوا وقت وهم حاسين إن نظرياتهم في الفلسفة والسياسة والحياة هتغير شكل الكون.

ومكنش عنده تلفزيون متخم بأخبار المآسي خارج حدود الكهف، وإن كانت الست حرمه بتلعب الدور الاستراتيجي ده بشكل متميز.

مكنش عنده سينما تخبط على شبابيك خياله وتصحي فيه تساؤلات عن الحياة، ومكنش عنده أكونت على فيس بوك بيدخل كل يوم يزقل طوبه بالمنجنيق بتاعه على أكونتات حجرية تانية.

عارفين ده معناه إيه؟ شريحة ميموري "بِكر" سرعتها مليارات

الأحصنة اللي بتجري من غير لجام في براح الخيال اللا محدود.

معناه إنه ابتدى يدرك إنه محتاج في اللحظة دي يخرج بره كهفه، ويتعامل مع الكون كله بما لديه من حقائب ممتلئة بالدهشة، وبما لديه من تساؤلات ليس لديه إجابات عنها مسبقة سوى عنين مفنجلة على مفردات ميعرفهاش قبل كده.

وفي أول خطوة ليه بره الكهف بيدرك إنه بيقابل أشياء وأحداث وكادرات كتير، بيسجلها على كارت الميموري بتاعه، لكنه لمَّا بيرجع يحكيها للست حرمه في لحظة تويست معينة أدرك إنه لازم يحط التاتش بتاعه، وخصوصًا إن نظرة الانبهار اللي شافها على وش الست حرمه كفيلة بإنها تغريه إنه يصنع أسطورته الأولى، ويقدم حواديته في شكل خارق بديع يستوجب عدد لا نهائي من الشهقات.

في البداية الأسطورة بالنسبة ليه مكنتش غير مجرد حدوتة بيمارس فيها قدرته على وصف الحاجات اللي شافها في رحلته بره الكهف، لكن مع مرور الوقت ابتدى يقابل كادرات بقى صعب على عقله إنه يكتفي فقط بوصفها، فاستيقظ المارد جواه وشده ناحية الاحتياج إنه يفهم ويحلل ويفسر كل الكادرات اللي مقدرش يفهمها وقتها.

يمكن ده مفهوم لمَّا كانت الزووم على الكاميرا بتجيبه هو وهي في كادر واحد كبطولة كاملة لفيلم الحياة وقتها، لكن الزوم ابتدى يكبر و ابتدت تفسيراته وأساطيره كمان تتغير.

الغريب والمدهش في الإنسان الأول إنه في كل أسطورة كان بيحط فيها حتة منه، وكأنه وهو بينسج خيوط الحدوتة الأسطورية

بيدور على نفسه جوه الحدوتة، وبيقنع نفسه دايمًا إن المُخرِج مديله دور البطل الأسطوري اللي الأحداث كلها بتتحرك حواليه أو من خلاله أو بواسطة قدراته الخارقة.

ويمكن ده بيفسر كتير من الأساطير اللي حكاها الإنسان الأول، وسجلها في أكبر كراسة للتاريخ على حيطان كهفه.

ليه الأسطورة كان بيبقى فيها بطل خارق في الأغلب كان عايز يشاور ويقول "أنا البطل" تسقيفة امال تشجيعة امال؟

احتياج الإنسان إنه يتوحد مع أسطورة ويكون جزء من حدوتة كبيرة اتمحى في فترة لمَّا الطبيعة بفيضاناتها وزلازلها وعواصفها فجأة جبته على بوزه، وقالتله فوق لنفسك "مش انت البطل"، انت مجرد كومبارس في فيلم كبير.

ساعتها ابتدى يداري فشله وبدل ما يحاول ينفخ بالونة الإيجو اللي فرقعت منه بأي طريقة، ابتدى يحكي الأسطورة بطريقة تانية، يمكن مش هيكون فيها البطل ده صحيح، وهيضطر يخترع أبطال خارقين تانيين، واللي لازم يضفي عليهم خلطة سحرية من الملامح البشرية و أنصاف الآلهة، لكن المَرة دي هيلعب بالكراسي، وهيمارس أسطورته كراوي للحدوتة وصايغ ليها، وحاكيها عبر الأزمان والأجيال.

الأساطير اللي سابها الإنسان الأول وراه بتقول إنه كان بيحاول يتواصل مع الطبيعة حواليه، خصوصًا بعد ما هزمته وجابته لمس أكتاف، وحس بضآلة روحه وسط أحداث جسام.

لكن على جانب آخر، محدش قالنا يا ترى الطبيعة هي كمان قدرت تتواصل مع الإنسان، ووقعت بالمو افقة على كل الأساطير

اللي رواها الإنسان الأول على لسانها ولا لأ؟

وعلشان كده الأسطورة هي الفعل اللي بيتشارك فيه الإنسان اللي قرر في لحظة زهق إنه يخرج بره كهفه، ويشبك نفسه في بَكرة حواديت مبتنتهيش، ويقدر يكر البَكرة مع كل الإنسنانات اللي شبهه، واللي هيقابلهم في مغامرة عقله الأُولى.

ويمكن ده اللي بيميز عالَم الإنسان، إنه عايز يحكي "عنه"، وإذا مكنتش الحدوتة "عنه" فهو عايز يحكي حدوتة، ما احنا مسمعناش إن القطط أو الكلاب أو الأحصنة أو الدب العايش في القطب الشمالي عندهم حواديت وأساطير بيحكوها للأجيال اللي بتيجي بعدهم.

وهكذا فإننا بكل أريحية نقدر نروح الشهر العقاري ونسجل فعل الحكي للحواديت والأساطير بيع وشرا ومخالصة كاملة تامة للإنسان ولا أحد غيره.

لمَّا اتملت شريحة الميموري للإنسان الأول بفيض متناهي من الأساطير اللي بتدون مغامرته، وبتمجد في انتصاراته الخارقة، وبتداري على خيباته في صورة أبطال ثانويين هامشيين في سرد الحدوتة، جه دور الأجيال إنها تستلم شكمجية الأساطير وتتوارثها فيما بينهم، وكأنهم بيشدّوا على إيدين بعض إن بينا حاجة مميزة محدش هيفك تعويذتها ولا يفهم طلاسمها غيرنا.

ولمَّا وصلت لينا شريحة الميموري للإنسان الأول، وركبناها في درايف دماغنا، واحنا بنتلفت يمين وشمال أحسن حد يسرق الكنز بتاعنا، ملقناش غير حواديت ورغي كتير عن بطولات خارقة، ومحاولة من جدودنا الأوائل إنهم يقولولنا إنهم كانوا سبع رجالة ف بعض.

وإنهم مسكوا ديناصور الأنتشيورنيس (ديناصور طائر)، وقيفوا عليه بردعة، وروضوه كأي حيوان أليف.

على قد ما تركيبة دماغنا مقدرتش إنها تبص للحكي اللي مارسه الأوائل أبعد من مجرد كونه كوكتيل من تلات خاءات متتاليات: (خيال– خرافة– خوارق القدرات)، ويمكن لمَّا كنا صغيرين كنا بنحب ننام واحنا حاضنين كتاب الحواديت، ومصدقين كل حرف فيه، ولمَّا بيحبوا يخوفونا بيخوفونا بأسطورة أبو رِجل مسلوخة (مع إن مش ذنبه إن رِجله كده ويمكن مش قاصد يخوفنا).

لكنها كانت أساطيرنا الطفولية والحكايا الشعبية اللي ممكن نتفق عليها باختلاف أعمارنا وجنسياتنا، لكننا كبرنا وعرفنا إن الدنيا مش كتاب حواديت وإن الأميرة في نهاية القصة ممكن تبوس الضفدع وميتحولش أمير ويفضل ضفدع قشطة جدًا.

وأبو رجل مسلوخة هيتخلى عن دور البطولة في أسطورة التخويف جوانا لإننا قابلنا "اللي سلخ رِجل أبو رِجل مسلوخة" فبطلنا نخاف.

كبرنا وبطلنا نجري ورا الأرنب اللي بينكش الدهشة المستخبية في جحور عقلنا المزدحم جدًا بصخب الحياة والتكنولوجيا، وتكة الزرار على الموقع اللي بتجاوب على كل سؤال سألته أو لسه عايز تسأل عنه.

كبرنا والأرنب تاه مننا وتاهت معاه روح الدهشة جوانا، وعلى قد ما أجدادنا سابولنا أساطير كتير بتحكي عن حياتهم، وازاي واجهوا العالم بره كهفهم، ووصونا على أساطيرهم في شكمجية ميراثهم لينا،

بقى جزء من ملامحنا إننا بنحب نحطم الأساطير.

يمكن لإننا مبقناش نصدق في الخرافة ولا بنقبل إنها تدوس ديليت على خلايا التفكير والمنطق في دماغنا، مبقناش قادرين نمرر أي حدوتة أو حكاية أو أسطورة من غير ما نسأل ليه وازاي وإمتى ومين اللي قال و إيه دليلك بقى إن ده حصل فعلًا.

وزي ما إحنا عارفين إن فيضان الأسئلة دي هو فيضان نوح اللي أي راوي للأسطورة مبيحبوش، لأنه بيزلزل أمجاد الأسطورة الشخصية وبيخليها مجرد حدث عادي جدًا نقدر نشيل من عليه القداسة.

ويمكن كمان نكتشف بشوية مخمخة إنه محصلش وكان مجرد نخع فلت زمامه من الراوي، بس لو الدايرة اللي رسمها في وقتها من المستمعين حواليه صدقته، إحنا كبرنا و اتغيرنا لدرجه إننا كسرنا الدايرة، وكسرنا الأسطورة وحطيناها قصاد مليون علامة استفهام تانية فاتبخر سحرها القديم.

الإنسان الأول لمَّا احتاج يغامر كانت الأسطورة هي وسيلته لحكي تفاصيل الرحلة، الإنسان دلوقتي لمَّا احتاج يغامر بقت تكسير الأساطير هي على قائمة أولوياته؛ علشان يخرج بره كهف اسمه تشكيل العقل الخرافي لأنه أصبح يؤمن بالعلم والفرضيات والإستدلالات والمنطق.

الإنسان الأول كل حكيه وأساطيره ساعدته إنه يجمع الناس حواليه؛ يا إما علشان يسمعوا حكيه أو علشان يغشوا منه حتة يحطوها في أسطورة مجتمعاتهم الملاصقة في الخبرة الإنسانية.

لكن الإنسان دلوقتي مبقاش عايز ينتمي لدوا ير أكبر من ذاته؛ فبقى بحثه عن أسطورته هو الذاتية أكبر من مجرد إنه يقبل دور هامشي في رو اية يشاركه فيها الملايين.

الإنسان دلوقتي بقى يدور على أسطورته الذاتية، إزاي استلم العِدة من جِده الأول، وإزاي باسها وحطها جنب الحيط، وإزاي كمل في حياته بمفرداته، بتعقيدات روحه، بلخبطة الإشارات على خريطة سكته، واللي يمكن مش هيكون فيها بطل خارق بيطَّلع نار من بُقه أو بيشيل المعبد على كِتافه.

لكن يمكن تكون أسطورته إنه يبقى حد عادي قرر إنه يمشي عكس العابرين في مفارق الحياة، ولمَّا تيجي الكاميرا عليه وعدستها تعمل عليه زووووم يبقى متأكد إن عنده حدوتة تتقال، وأسطورة تتحكي، واللي لسه محدش يعرفها ولا هيعرفها غيره، وده هيبقى جماله ومغامرته اللي شايلة بصمة روحه ومحدش هيقدر يزق كتف معاه فيها.

***

"احنا بنْكُح تراب"... الحياة ليها معنى!!

الجملة دي تكاد تكون إنجاز مصري حصري بتنتصر فيه العامية المصرية في أصدق توصيف لمعاناة الجنس البشري على ظهر الكوكب، من ساعة ما لم شنطة هدومه وشرَف ولغاية ما هياخد استمارة ستة من الحياة بحالها.

في البدء كان خلق الإنسان من تراب، لكن معجزة الخلق اللي انفرد بيها الخالق لوحده هو تحويله للتراب ده بنفخة الروح إلى كائن عجيب، لِمض، مشاكس، هيشيل أمانة تغيير شكل الأرض بعد ما ينزل ليها بزوحليقة الخطيئة، وفي مروره بالرحلة هيكون التراب هو التويست لكل حدوتة هيكتبها في كتاب حياته يا عين.

في البدء في نقطة من الزمان الغير محدد بإحداثيات المعرفة الإنسانية، قرر الإله إنه يحول حفنة تراب إلى هذا الكائن المدعو الإنسان، ويكون قدوم هذا الكائن الغريب بتركيبته الأغرب وسط الكائنات النورانية من ناحية والكائن الناري الأثير من ناحية أخري هو مدعاة للدهشة و أيضًا للتمرد، وطرح السؤال اللي هيفضل سبب معاناة الكائن الناري ولعنته طول عمره:

"إزاي كائن يتخلق من تراب وتفضله علينا؟".

ولأن الإله لا يُسأل عما يفعل فقد اكتفى بنظرات الدهشة تعتلي خاطر كائنات النور، واللعنة تحل بجسد كائن النار حتى ما لا نهاية.

اللي قطع الدهشة وقتها إن خلق إنسان من التراب كان فعل

إلهي، استخدم فيه الإله قدرته إنه ينفخ من روحه في التراب؛ ليرى الكائنات معجزته متمثلة في هذا الكائن المدعو "إنسان".

ويبدو أن الإنسان في رحلته المسماة بالحياة بين تراب الخلق الأول وحتى استكانته الأخيرة في أوضة تحت الأرض حيث يُهال عليه المزيد من التراب، هي متوالية حسابية محصلتها النهائية إن معجزة هذا الإنسان إنه ابتدا من التراب ونهاية أسطورته بين الكائنات الأخرى هتكون برضه إلي التراب.

وعلى الرغم من خلق الإنسان من تراب إلَّا أنَّ محاولة اختزاله لعنصر التراب فقط هو اختزال بأهم بند من بنود الحدوتة، الإنسان مش تراب فقط الإنسان هو الخلطة السحرية اللي استودع فيها الإله جزء من معجزته الأُولى في الخلق، فأصبحت معجزة الإنسان ذاته إنه بروح الله يقدر يحول "التراب" العابر في كل فصول رحلته في الحياة إلى معنى.

وللدقة فهو القادر على تحويل حِفنة الـ"تراب" لحياة بطريقته الخاصة جدًا واللي هتتكشف لينا كما يلي:

– حِفنة التراب اللي في لحظة فعل أهوج افتكر نفسه يقدر يضاهي فعل الخلق الأول فحط التراب وخلط عليه مية وتهيأ ليه إن الجاثم أمامه على هيئة صنم هو مرساله إلى إله السماء.

مفيش خريطة تدلنا على السرداب اللي مشي وراه غير إنه سرداب مترب ومعشش فيه العنكبوت، حتى مع افتراض حُسن النوايا إنه محتاج يبعت مراسيل للسما عن طريق أصنام صغيرة، محدش هيقدر يفسر اشمعنا رجعت للتراب، واشمعنا اخترت مراسيلك تكون

من التراب.

– حِفنة التراب اللي ممكن ناس تموت علشانها وبعدين يكتبوا أسماءهم على شاهد القبر "الجندي" فلان الفلاني اللي ضحى بحياته من أجل تراب الوطن.

وعلى قد الفعل البطولي اللي بيضحي فيه الإنسان بما لا يملك وهو فعل الحياة ذاته، إلَّا إنه برضه محدش قالنا يا ترى بعد ما ضحى علشان "تراب" الوطن، الوطن نفسه ضحى علشانه هو علشان يعيش بإيه!!

– حِفنة التراب اللي شالها كولمبوس على كتفه لما زار الأرض الجديدة الغريبة، اللي اكتشف إن لون التراب فيها مختلف عن لون تراب الأرض اللي جه منها، وبدل ما يعلن إنه تاه ويدبدب برجليه في الأرض ويقول أنا عايز أروح لأمي، قرر إن التراب الجديد والأرض الجديدة هُمَ اكتشاف لحياة جديدة.

وبدلًا من إنه يدي لنفسه مساحة وفرصة إنه يفهم طبيعة الـ"تراب" الجديد، مارس خطيئة الكائن الناري لمَّا اعتبر إن "ترابه" أفضل من تراب الأرض الجديدة، وصبغها بلون كولمبوسي محتل، بس هو مبيحبش يقول كده على روحه.

– حِفنة التراب اللي بفعل المناخ والضغط تحولت بقت حتت ألماس، واللي في وقتها الإنسان الأول مكنش عارف هو قيمته كانت إيه.

لغاية ما في أحد الأيام الكئيبة أبو العروسة انجعص على كنبة الصالون المُدهب، وطلب شبكة بنته الجوهرة المكنونة واللؤلؤة

المصونة إنها تبقى خاتم ألماس، تليها شهقة العريس "ألماس يعني إيه شوية تراب" متبوعة بنظرة عميقة من أم العريس:

"وانتو هتبيعوا وتشتروا فينا على إيه، ده الواحد اتخلق من تراب وهيرجع للتراب"، وألف مبروك الجوازة باظت.

– حِفنة التراب اللي بتتراكم على كل الأشياء اللي زحم بيها الإنسان حياته في محاولة منه إنه يتغلب على وحدته بالأنس بالأشياء، اللي بعد ما لفحها على قلبه ودفع فيها تحويشة عمره لقى إنها مش بس بتملى فراغ حياته ولا مساحته المكانية اللي بينتمي ليها، لكن تراكم التراب عليها بيفكره إن الوقت بيمر، والساعة مش بتقف وإن اللي كان في يوم ملزوق عليه تيكت إنه جديد بقى مجرد أنتيك قديم يكسوه معاطف من التراب.

وإن ميراثه من الحياة هو كومة من الأشياء المتربة جدًا، والقديمة جدًا، واللي مضطر يمسح عليها بإيده علشان يعيد ليها الروح، والحياة ترجع للحدوتة المقترنة بيها.

بعض الأساطير استلهمت من التراب فكرة الخلود، اللي كانت مغامرة الإنسان اللي وقع بسببها على بوزه من على حصانه، واستقرت بعض الأساطير إن الميت ممكن نحرق جثمانه علشان يتحول لتراب وننثره في الهوا، علشان دايمًا روحه تفضل محلقة.

وكأنه بيختار القدر إنه يبقى لا منتمي في حياته وحتى بعد مماته، وأن يكون انتماؤه الوحيد هو اللا مكان والعهدة على الأسطورة.

المعاني اللي طورها الإنسان عن التراب وللتراب بتثير الدهشة، لدرجة إنك بتسأل نفسك إحنا ليه مش بندرس عِلم الترابولوجي،

أينعم فيه عِلم كامل اسمه الجيولوجيا، لكن عِلم الترابولوجي هيختلف عن الجيولوجيا.

إذا كانت الجيولوجيا بتدرس الصخور وازاي اتكونت، وإزاي بتختلف من مكان إلى آخر، فمتهيألي إن عِلم الترابولوجي هو العِلم اللي هيدرس وهيتتبع الإنسان في تطوره الإنساني وعلاقته بالتراب، وإضفاؤه للمعني وأوقات الأسطورة على حسب السياق التاريخي لكل حفنة "تراب" وقعت في طريقه وهو بيتوه، وبعدين بيرجع يكتشف، وبعدين يرجع يتوه، وهكذا.

والأهم إيه اللي بيشده دايمًا للتراب، هل هو حَنين للأصل؟ ويا ترى هو قادر يفسر الحَنين ده ولَّا بيهرب منه؟!!

متهيألي لو درسنا عِلم الترابولوجي هنقدر نفهم رحلة الإنسان اللي كان قبلنا، وهنفهم رحلتنا إحنا كمان لإننا على الرغم من إننا بنتشارك في البداية الترابية والنهاية كمان، إلَّا أن ما يحدث بينهما هو إنتاج حصري لكل إنسان على حِدة، وإن كان القاسم المشترك في كل حواديت الإنسان أنَّ السماء قررت إنها تتدخل وتفكره بعجزه، وضآلته، وتبعت ليه عاصفة ترابية تخليه "يكح تراب".

تخليه يفتكر إنه مجرد نقطة عشوائية في كون معقد جدًا، وإنه هو نفسه مجرد شوية تراب، وإن كل هيلمانه وأسطورته ممكن ينهاروا قصاد عاصفة ترابية تخلي مناخيره تلزق في قفاه فيرجع لصوابه كده ويدرك وضعه في الكوكب، وإنه مجرد شوية تراب، والكثير جدًا من البروزالين علشان يعرف يتنفس ويرجع "يكح تراب".

***

القرد في عين عيلته غزال!

آدم لمَّا قرر يضحي بتَمن دستة الجاتوه ويروح يتقدم لـ"حواء" مكنش ف دماغه إجابة محددة أوي على السؤال: "يعني إيه عيلة؟".

هو كان بيحاول يهرب من خوفه إنه يموت كإلكترون وحيد بيلف في دايرة بتقفل عليه لوحده، فقرر إنه يشبك دايرته مع كائن تاني.

ومتهيألي برضه حواء وهي بتقدم الشربات لآدم المبتسم ابتسامة مبهمة، والجالس على كنبة الصالون المُدهب، مكنتش مدركة ازاي هتبقى مسؤولة عن عيلة، لكنها توسمت في الشخص الجالس هِناك إنه "طيب و ابن حلال".

ومن هنا إتكونت أول عيلة في تاريخ الإنسان، إلكترون وحيد بيتعشق في إلكترونة تانية علشان يلفوا سوا في دايرة هتكبر بيهم، وهيتطرح فيها السؤال الأزلي: "مين هيشيل اسم العيلة؟".

والحقيقة ده سؤال مُحير، لأنه بيطرح فكرة الخلود اللي الإنسان بيحب ينتصر فيها على تكوينه البشري المتسم بالفناء، إصراره على تكريس و إثبات حضوره في دفتر الخلود خلاه ياخد اكتر الخطوات جسارة بتخليه ينط بره كهفه ويقرر طواعية إنه يرسم دايرة أكبر مدعوة فيها "حواء" وكائنات قصيرة مكيرة أخرى.

محدش بيجاوب على السؤال ويقولنا يعني إيه عيلة؟

هل هو تجمع ناس بتحمل نفس الجينات الوراثية وقاعدين جنب بعض في أتوبيس الحياة ونازلين نفس المحطة، ولَّا انتماءك

لمجموعة من الناس بيحققلك سعادة وبيديك أوبشن تاني لفكرة العيلة، هل عندك اختيار لعيلتك ولو عندك العصاية السحرية فكرت تغير عيلتك؟

كنت بستغرب من الأهالي اللي بيبقوا شايفين ولادهم أطفال إعلانات، وإنهم الأجمل والأطعم والألذ على عكس الو اقع، وكنت برضه بستغرب إصرار أهلك إنك تكون من الأو ائل لإن ده معناه في عرفهم إنك الأذكى والأنجح، طب لمَّا كلنا هنطلع الأو ائل أُمال مين اللي هينضرب في الفيلم يا جدعان.

ومع مرور الوقت ابتديت أفهم إن العيلة هي التوليفة من البشر اللي بتبقى شايفة إنك كواحد حامل لجيناتها شايفاك الأجمل والأذكى والأرق والأحن والأنجح وكل الصفات باستخدام صيغة التفضيل العليا على ليستة "القرد في عين عيلته غزال".

والحقيقة ده إحساس جميل ومرهق في نفس الوقت، جماله إنك بيفضل عندك في زمزمية الأمل اليقين إن ليك "عزوة وسند" هتقدر ترجع لهم لو الدنيا ضلمت في وشك أوي، ومرهق لأنك بتكبر محمي في جو العيلة بورقة سوليفان غير قابلة للخدش أو الفض، ويسمح فقط بالفُرجة عليها من بعيد.

لمَّا بنخرج للحياة محملين بسوليفانتنا اللي اكتسبناها من تصور عيلتنا عننا، بنبتدي نكتشف حقيقة "القرد" في منظومة الكون الكبيرة. فبنكتشف بالصدمة أو بالخيبة المتكررة أو بفعل التصالح مع الفشل إننا مش زي ما كنا فاهمين، لا الأذكى ولا الأجمل ولا الأو ائل على قائمة انتظار طويلة بيتنافس فيها بلايين البشر.

وبنبتدي نتعرف على القرد اللي مبقاش غزال وعليه أن يتكيف مع الحقيقة القرداتية الجديدة.

في مجتمعات حداثية، الولد والبنت بيوصلوا لسن معين وبيعتبروه العتبة اللي لازم يخطوها لأنها بتفصلهم عن كونهم كائنات اعتمادية على عيلتها إلي كائنات مستقلة مطلوب منها إنها تفك السوليفانة، وتكتشف حقيقتها وتتحمل مسئولية رحلتها في كوكب القرود الأكبر.

أما في مجتمعنا اللي لسه و اقف على نص السلم لا حصل حداثة ولا فِضل قاعد في بدروم قبايل الهاكونا ماطاطا في شرق أفريقيا، مفهوم العيلة بيتمحور إزاي تخلي أفرادها كائنات ملتصقة.

أينعم بيتقطع ليهم الحبل السُري لحظة الولادة، لكن بيفضل متلصم ومتسند بعيلته بحبل سُري تاني مش متشاف، بيخليه يعمل زي القرش الممسوح اللي بيلف يلف ويرجع تاني لنفس نقطة الولادة الأُولى من نفس الرحم.

التصاقنا بال"عيلة" ينفع في السنين الأُولى اللي لسه بتكتشف فيها طبيعة الأشياء، ولسه عندك القدرة إنك تحط صوابعك في فيشة الكهربا لأنك عارف إن فيه هناك اللي هيلحقك لو الفولت علي لو لزم الأمر.

بس في مرحلة ما محتاج تتخلى طواعية عن الالتصاق ده علشان تكتشف العالم الأرحب، وعلشان تصنع خبراتك انت، واللي بتبتدي بالاكتشاف الموجع إنك لا غزال ولا يحزنون.

هتبتدي تفكك اللي اتسقالك بالمعلقة من عيلتك وتعيد تركيب

البازل بشكل يتناسب مع حجم خبرتك وحجم وجعك من فيش الكهربا الحياتية.

في اللحظة دي يمكن ترجع للعيلة اللي بيسموها العيلة النواة، علشان بتبقى عارف إن فيه "عزوة وسند" هيغفرولك حماقاتك، أو هيتحملوها ويمرروها على أسوأ تقدير، وبتبقى عارف إن فيه إيفيهات مشتركة اتسقت بالجينات الموروثة هتقدر تضحك على نفس المو اقف وعلى شكلك بعد ما الحياة منحتك ولادة جديدة.

وممكن برضه تقرر ساعتها إنك دلوقتي بقيت مستعد إنك تعيد رسم الدايرة من جديد، ومتبخلش بتَمن دستة الجاتوه وتعمل زي جدك الأكبر "آدم" وتروح تتقدم للبنت العسلية علشان الدايرة تكبر.

والشيء اللي بيدعو للنكتة في رسمك للدايرة إنك ممكن تكرر نفس الأخطاء اللي كنت بتقاوح عيلتك عليها، بس المَرة دي انت بتاخد فرصتك الكاملة في تغيير موقعك من اللعب واحتمال تشوط وتجيب جون وخلفتك تبقى فعلًا غزال... أشك!

ولمَّا فلاش الكاميرا يقرب منكم في الصورة العائلية الكبيرة لـ"شجرة العيلة" هتشوف نفسك بتضحك من الودن للودن على القرد اللي مبقاش غزال، بس أخد فرصته إنه يكتمل بدايرة فيها كل نقطة الصعود والهبوط والدوران الكامل حول نفس المركز اللي هو انت.

أيها القرد السعيد اللي اتعلم دلوقتي يقول جمل كتير بتبتدي بضمير "إحنا" مش "أنا" ابتسم مبقتش وحيد واسمك هينكتب في الجبلاية.

"ازاي ترجعلي بقميص وسخ يا متعوس يا موكوس"

الأمهات عندهم هشاشة نفسية ناحية ولادهم بتخليهم محاصرين روحهم في إنهم يشوفوا ولادهم بصورة واحدة وعلى مسطرة واحدة طول الوقت.

حتى مع التأكيد الدائم من جانبهم إننا هنحبكم مهما حصل، وهتفضلوا ولادنا مهما حصل.

الحقيقة إن السيطرة مطلوبة في مرحلة الطفولة ليس أكثر، مرحلة الاحتياج للعب الدور، وخاصة مواعيد الأكل أو الدوا أو الملاحظة أو الاستجابة للحدس لدفع الخطر.

لكن السيطرة بتتوحش وبتتحول لمنطقة أمان مرعبة بتحاصر الأم نفسها، وبتخليها دايمًا بتشوف الحاجات والعالَم وولادها من جوه مربع ضيق أوي لابساه على راسها، وأي انحراف بسيط في زاوية الرؤية معناه ارتباك ولحظة رعب واستدعاء عاجل لرجال الإطفاء الداخلي المستنفرين على حافة أصابعهم علشان ينقذوا الابن أو الابنة من الهلاك.

وفي حقيقة الأمر إن الابن والابنة بيتطوروا وبيشوفوا العالم بـ"صندوق" تاني مختلف، وربما صندوقهم أكبر أو أصغر، الحجم مش مشكلة، المهم فتحات التهوية في صندوق العيال وصندوق الأم هل هي مفتحة على بعض؟ ولا مسدودين في وش بعض؟ فدايمًا في حالة صدام أو خوف أو هلع.

في مجتمعاتنا الأم بتلعب دور وحيد ميخرجشي عن القداسة، وأنها لوغضبت العالم كله هينهار، وده مش بيخلي أي مناقشة حوالين الموضوع ده سهلة أو بسيطة.

على سبيل المثال: محدش بيحمي الأبناء من هشاشة الأم، واللي هي مش شيء سيء، هي شيء أكبر من إنه يتم حصره في حلو ووحش، هو شيء بيحصل، لكن هشاشة الأم الذاتية إزاي متتحولش لوحش بيبتلع الأم نفسها، ويحاصرها، ويطارد محاولات الأبناء، مش الهروب في الاتجاه المعاكس بعيد عنها، لكنها ممارسة فعل المحبة في المسافة القائمة بينهم، كلٌ بطريقته و إيقاعه مش شرط وفق كتالوج "الابن الكويس أو الابنة المتربية".

المنطقة دي يمكن يتفرد ليها كتاب بحاله، بس في كل مرة هنحب نزورها خلينا نفكر نفسنا أننا عايزين نزورها بأكبر قدر ممكن من الحب المتجدر في روح واعية إيه اللي يخصها و إيه اللي ميخصهاش علشان منسجنشي نفسنا في شيلة مهياش بتاعتنا في الأساس.

***

فطام!

كنت مستغربة جدًا لمَّا الستات بتحكي قصاد مني عن إزاي فطمت عيالها، والحكايات اللي بتتصب عندي معظمها انهم دهنوا صدرهم بحاجة "مُرة" علشان الطفل خلاص يعمل ارتباط شرطي إن "البزة دلوقتي يع".

حاولت أقولهم طب ليه مش بتخبوها مثلًا، فكانت الردود – بالإضافة إلى وصمي بالجهل– لإني مجربتش بتصب حوالين إنه بيفضل يدور عليها حتى من تحت الهدوم.

وهنا الطفلة اللي عندها 8 سنين جوه مني لازم تحتل المسرح وتسأل طب والأمهات اللي مش بتلبس هدوم بيخبوا الحاجات والمحتاجات فين؟

وأخدت فضولي وروحت لمصدري للمعرفة (القطط بتاعتنا) ولاحظت إن القطة مرحلة الفطام عندها إنها بتبتدي "تضرب" عيالها في الر ايحة والجاية. وكأنها مش بس بتحطلهم حاجة "مُرة" على بزازها لكن هي في حد ذاتها بتتحول كيان "مُر" يخافوا منه ويبعدوا عنه علشان يقدروا يخشوا العالَم لوحدهم.

بعد المرحلة دي ما بتخلص البعض منهم بينسى أصلًا إنها أمه، وبعدين دورة الحياة بتستمر فتلاقي الأم بتتجوز ولادها أو الأخ والأخت بيتجوزوا بعض، بقى خلاص إحنا كبار والقانون الوحيد في عالَم الكبار هو البقاء.

موضوع الفطام بـ"المرارة" أو بالخناقة أو بالكراهية لمصدر "الأمان" ده غريب وعجيب.

يمكن التفوق اللي ممكن يتحسب لخانة البني آدم، إنه ممكن يطورمفهوم الفطام، الانفصال "الجسدي" عن مصدرأمانه والطرق اللي بيعمل بيها ده، وازاي ده مش مرتبط بسن، الطفل بيقولوا انه بيتفطم لمَّا بيوصل سن سنتين، بس محدش بيقولنا "الكبار" بيتفطموا في سن كام.

منطقة ثرية جدًا للكشف والملاحظة، وخصوصًا لو أهالينا فهموا إننا بنختار "ننفطم"، ويمكن الفطام يكون فعل تبادلي يعني احنا بننفطم منهم وهُمَ محتاجين ينفطموا مننا، مش احنا الاتنين مصادر أمان لبعض، احنا محتاجينهم علشان نفضل فاكرين إننا "مسموح لنا في أوقات نجري ونعيط" علشان ده مش مسموح في عالَم الكبار، مينفعش تعيط في جلابية أمك انت بقيت شحط.

وهُمَ محتاجين لينا كمصدر أمان علشان احتياجهم هُمَ الشخصي يتأكدوا انهم فعلًا اتحبوا و اتشافوا معدوش في الدنيا كده.

وممكن نكتشف إننا في البداية ممكن نتخانق مع مصادر الأمان دي "وقتي" ودي خناقة منطقية جدًا وتكاد تكون طبيعية علشان يعني لسه مكتشفوش "طفل" أو "كبير" لمَّا بيبعدوه عن مصدر الأمان بيتحزم وبيرقص، أكيد بيعيط. لمَّا روحه تطلع وبيفضل يدور على نفس المصدر لغاية ما يعيد إنتاجه في صور تانية، أو بيلتئم بنفسه وبيعمل مصادر أمان جوه منه.

قبولنا لطبيعية الخناقة متهيألي هيسهل علينا إننا نوصل

للمرحلة اللي بعدها، اه متخانقين بس هنرجع، والرجوع مش هو المحبة المطلقة ولا الكراهية الشديدة، لإننا برضه مش عارفين "حتت" أهالينا جوانا.

إحنا ممكن نكون بعيد جغرافيًا بس فيه حتت وأنماط ومسارات وأوقات ندباتهم هُمَ النفسية اتباصت لولادهم.

كل ده ممكن يكون موجود جوانا، وإحنا بنتخانق في الحتت دي منهم، القبول للحتت منهم جوانا بيخلينا نوصل لمرحلة أتمنى ان يكون العبورليها سالم، إننا بقينا مسئولين، ودي أحلى حاجة في عالَم "يلا نكبر بقى".

مسئولين مش بمعنى المسئولية المرعب "إنا عرضنا الأمانة" لكن عندنا حرية الاختيار، نختار نلتصق أو ننفصل، ونختار ننفصل ازاي بمحبة من غير خناق، لأن الخناق في الآخر بياكل في روح مين، وبنختار نرجع بس هنرجع بأنهي ولادة وبأنهي مهارة في ترميم الروح.

السؤال: المشواردة اتجاهين، الالتصاق الجسدي بيتفك، طب والالتصاق النفسي بيترمم ازاي من الجهتين؟

***

إحنا اتربينا ع الوحدة!

ممكن الأب والأم يربوا ولادهم على الوحدة، على فكرة من وهُمَ صغيرين ده مش منتج تشجيعي دي ملاحظة عابرة.

لمَّا لقيت إن ممكن الأب والأم اللي طول الوقت بيشتموا في الناس "عموم الناس" إنهم ولاد كلب نصابين وحرامية، الصورة الذهنية اللي هتنطبع في دماغ الطفل إنه أول ما يطلع بره البيت هيقابل "ولاد الكلب النصابين" حتى لو مقابلهومش فهو متخزن على الدي إن إيه بتاعه وسواس إن الناس "ولاد كلب" بس مستنيين الفرصة مش أكتر إنهم يبينوا ده.

الخط الفاصل بين حماية الطفل من الـ"غرباء"، وتقوية جهاز المناعة النفسي جوه منه إنه ميتئذيش، وبين إنه يفقد الثقة تمامًا في كل الناس فيكون اختياره الوحيد والأسهل والأقرب إنه يعمل كل حاجة لوحده.

الأب والأم اللي مش بيربوا ولادهم إن الأذى ممكن يحصل بس وهو بيحصل إحنا بنستقبله ازاي، وإن المنع بالحماية الشديدة و انك تفضل في "رحم" مامتك مع انك شحط كبير بيضعف من جهاز المناعة عندك، وكل خبطة أو صدمة بتحصل بتستهلِك منك علشان تقف على رجليك تاني.

التخويف الشديد من عالَم آخر غير عالَم البيت الآمن مش هيخلق غير عيال "وحيدة" بتحرمهم من فرصة إنهم يتعرفوا على الإمكانية اللي ممكن تحصل بوصل المسافة بينك وبين شخص

متعرفوش، بس ممكن تخطي ناحيته خطوات مش محسوبة بس مش متكتفة ومتبعجرة في روحها بادعاء الاستنصاح في مواجهة الأذى.

الفضول الإنساني الفطري الطبيعي انك تخرج بره كهفك وتكتشف العالَم اللي براك، اللي بره أبوك وأمك، واللي يتشددلك، وتكتشف الحتة منك اللي بتتوتر لمَّا ده بيحصل، أو بتكتشف إنها ممكن تتعلم بدل ما تتخانق في اللي بره، تقوي جهاز مناعتها وتبني جسور تعبر فوق خوفها وتوصل للناس.

وحتى لو الأذى حصل مش هيكون اختيار العُزلة والوحدة هو الاختيار الأسهل، هيكون مؤقت ومفهوم لشحن بطارية الروح والرجوع مَرة تانية نبني جسر، ونعبر، وناخد شلوت، ونرجع للكهف، ونبني جسر ونعبر وهكذا لغاية ما في يوم تحصل المعجزة ونكتشف إن أصلًا مكنش في "عووووو" بره من الأصل والـ"عووووو" كان لابد في الدُرة جو انا.

***

يا صاااحبي

وجود صديق وَلد في الحياة دي حاجة عظيمة ومش واخدة حقها، يعني بيحطوا البنت في قالب لازم تبقى متيمة بباباها ولَّا أخوها، وحتى مساحة الصداقة بين ولد وبنت لازم تتحول لعركة بيتحط عليها تيكت "فريند زون" لو مكملتش في تراك الشحتفة والبر ابير ودمرتني لأني يومًا كنت حبيبها.

مع إن فعلًا وجود صديق ولد في حياة البنت من غير حسابات الحُب المعقدة مهم ومنطقة ثرية جدًا بالمشاعر والخبرات والأحداث والنضج المتبادل.

في مراحل حياتي كلها عندي صديق ولد ومقدرتش استغنى عن ده، في ابتدائي كان "عمرو" لغاية ما في يوم قرر إنه "يحبني"، كنا في تالتة ابتدائي وبعتلي مع محمد صلاح وعلاء انه بيحبني أنا ورضوى وعدد 3 تانيين مش فاكرة اسمهم.

مش فاكره ساعتها أنا زعلت منه انه بيحب خمسة في نفس الوقت فرديت عليهم رد أهبل متقمصة دور شادية وهي بتقول القلب يحب مَرة ميحبش مرتين، ولَّا زعلت انه مجاش يقولي في وشي، ولَّا زعلت لأني مفهمتش يعني إيه بتحبني يا عمرو؟

فاكره ساعتها انه فضل مستخبي ورا كوشك الكانتين ومرضيش يلعب معانا في الفسحة واللي كنا بنلعب فيها لعبة قذرة جدًا نكب تراب على بعض.

ومتهيألي علشان كده زعلت منه لإنه من غير ما يقصد خلاني استقبل منه فعل المحبة على إنه اختفاء واختباء مع إنه دايمًا مرحب بيه في حياتي وفي الفسحة وفي لعبة التراب العبيطة.

مش فاكره بعد ابتدائي صداقتنا اتحولت ازاي لأني سبت مصر ساعتها، بس لمَّا رجعت كل حد فينا بقى في كلية مختلفة، ومبقناش نتكلم، المسافة واختلاف تضاريسنا الجسدية والنفسية خلتنا نتعقد ونتكورجوه روحنا.

في كل مرحلة من حياتي كان عندي صديق ولد، وبحب دايمًا تكون المساحة دي مش متعكره بأي حاجة لإني بطمع فيها إني أتعلم اللي مبعرفش أتعلمه في العالَم لوحدي.

وممتنة جدًا لكل الولاد اللي كمان بيقبلوا يكونوا أصحابي وبيشوفوا فيا حاجات أبعد من إني كائن مُسلي أو بيقول نكت.

هي مش حاجات وحشة فيا أنا مُسلية جدًا كأحسن قرطاس لب طالع من مقلاة فرغلي على أول شارعنا بس دي مش أحلى حاجة فيا، أنا عندي حاجات أحلى من كده (بتشغل أغنية كلك على بعضك حلو وبهديها لنفسي).

ممتنة للمساحة اللي بتتملي بين ولد وبنت ومش لازم يكون اللي بينهم جنس أو مشاعر حُب أو وعود بالجواز، التلات حاجات مش وحشين على فكرة، بس طراطيركتيربتتلبس وبتدلدل على العنين مش بنشوف فيها حقيقتنا كإحنا اللي هي ممكن تكون أبعد من نوعنا في البطاقة.

انت بتقبل صداقتي كبني آدم مش عايزمني حاجة غير"وجودي"

المزعج الز ايط في الحياة، و أنا محتاجة بس انك تكون موجود مجرد "موجود"، مش لازم تقدملي حلول بس بحب أوي فقرة إني أقعد أحكي على حاجة لحد ما صديقي "الولد" يختصرلي كل مخمضة السنين ويقولي: "ما هو ابن وسخة يا ريهام اعمليلك قفلة" بمنتهى الحُب والود والاحترام والقبول والاحتياج من طرفي: "تصدق إني كنت بدور على الكلمة دي ومعرفتش أقولها."

ممتنة للصحاب الولاد والله جدًا.

***

"اشرب اللبن عشان أحبك"

كلنا اتقالت لنا الجملة الخالدة دي بتنويعاتها المختلفة من أول "ذاكر... خلص طبقك... اسمع الكلام...".

وعلى قد ما التنويعات دي كانت مختلفة كانت دايمًا نهاية الجملة واحدة "... علشان أحبك".

كبرنا واحنا متخيلين إن الحياة هي نفس الجملة الأمهاتية البسيطة، الشفرة اللي هتفك كل بكرات الصوف اللي الحياة مصرة ترمينا فيها.

جملة مقسومة نصين النص الأول فعل أمر من حد بيبص عليك من فوق يمكن لأنه أطول أو أكبر أو أكثر عِلمًا، أو شايف انه أكثر قداسة.

والنص التاني هو التلاعب اللا إنساني على احتياج إنساني جدًا وهو القبول والحُب بلا شرط فبتنتهي الجملة ب "... علشان أحبك".

كبرنا وبقى عندنا مخزون ثري جدًا من المفردات اللي بتنط بره حدود الطفولة لكن فضلت الجملة بتركيبتها جو انا:

"اعمل حاجة... علشان احبك".

حتى لمَّا بنفتكر نفسنا إن احنا انضمينا لعالَم الـ(grown ups) بنكتشف إن احنا دايمًا مبنعرفش نصيغ جمل سهلة وبسيطة وعفوية زي:

"مش لازم تعملي حاجة علشان أحبك، ومش لازم احبك علشان انت بتعملي حاجة، ومش طالبة منك انك تحبني فتعملي حاجة، ومتطلبش مني أحبك فاعمل حاجة علشان أحبك". لأني بحبك وبس وعلشان مفيش أصلًا "علشان".

بيخدعونا لمَّا بيقولوا إن الكبار بيفهموا أحسن، بيخدعونا لمَّا بيفَهِمونا إن الحياة هي أبجدية بيمنحها لينا الكبار ذوي الخبرة والحنكة والتجربة وشوية حاجات فوق بعضها.

بيخدعونا لمَّا بيفرضوا علينا شروطهم عن الحُب في الجملة اللي بتبتدي بأمر وبتنتهي بالفاكهة، اللي هي حق طبيعي جدًا ليك ومش محتاج انك تقدم فروض الطاعة علشان بس تدوقها وتستطعم المحبة.

ولمَّا بنكبر بجد، لمَّا بنشيل ورقة السوليفان اللي اتلفينا بيها زي حتة الحلويات وبنبتدي ندوق طعم الدنيا بطريقتنا احنا، بنكتشف إن جملة "اشرب اللبن علشان احبك" بقت بتاخد شكل جديد في كل العلاقات الإنسانية.

مفيش حاجة اسمها علشان احبك، فيه حاجة اسمها بحبك من غير "علشان"، من غير شرط، من غير قيد، من غير سفسطة، من غير هسهسة، من غير علاقات فوقية، من غير تفسير، من غير ما تضطر تقنع الآخرين أو حتى نفسك.

مش محتاج تنكش جوه كراكيب روحك على إحساس بيعملك بهجة بلا تفسير حاجة بتحصلك وهي أشبه انك تترزع في الحيطة.

لمَّا تلاقي فيه تيار إنساني واخدك بلاش تبني عليه سد اسمه

"علشان".

امسحوا من القاموس كل الجمل اللي بتنتهي بـ"... علشان أحبك"، وعيدوا صياغة ميبقاش فيه مقايضة على الحاجات الوحيدة اللي بتخلينا نصحى كل يوم ونقدر نكمل.

***

علامات!!

كنت بفكر في قرار السفر لأول مَرة، وقررت آخد تاكسي في أطول مسافة ممكنة علشان أرتب أفكاري، المارد كان معانا في التاكسي لمَّا وشوش ووسوس للسواق إنه يقولي بدون أي مقدمات وكأنه كان رامي ودن معايا في صندوق دماغي: "اللي يسافر بره البلد دي هيشوف وش ربنا وهيرجع يحب الدنيا ويرجع يحب البلد، البلد دي تتحب من بعيد".

كان ممكن أفهم جملة عمو السواق لو كانت في وسط حوار أوله إيه رأيك في كذا، ووسطه طيب أنا عندي فرصة سفر في كذا، وآخره سؤال مني محتاجة إجابة منه. لكن اللي حصل إن المارد وشوشله في توقيت أنا كنت محتاجة "علامة".

فيه أوقات بتكون الشبورة غطت على كل مراكز الإدراك الواعي جوانا، بنكون ممتلئين جدًا بالرأي الحكيم الواعي الصائب تمامًا، لكن بالرغم من ده مبيكونش لسه عندنا القدرة إننا ناخد قرار ما في اتجاه ما.

ومن هنا اتكتب الوصف الوظيفي للمارد، إنه يطلع من قمقمه في اللحظة اللي تكون فيها الشبورة مغمياك، واتكتب التعريف غير المتشاف عن "العلامة" إنها الزقة اللا منطقية جدًا لكنها الأقرب للي انت عايزه جدًا وتاه منك في صخب الأفكار وتوهة الروح.

ومن هنا ابتدت حدوتة المارد وعلاماته، وهي حدوتة مش ملتوتة لكنها متعاشة ولو قلبت في صفحات حياتك هتلاقي المارد بتاعك انت

وعلاماتك انت.

محدش بيقدر يفصّل ولا يفسر العلامات، وعلى عكس العلامة التجارية اللي كلنا بنتفق عليها، كل حد فينا ليه علاماته الخاصة والمارد بتاعه المتحاش في قمقم واللي مش بتعرف هو هيطلع إمتى، لكنك بتعرف إنه طلع لمَّا بتقفش روحك بتركز مع جملة معينة بتتقال في فيلم وكأن البطل أو البطلة عارف حدوتتك انت وقرريهديك الجملة دي في الوقت ده بالذات.

لمَّا عبارة عابرة من سواق تاكسي أو من حوار انت حتى مشتركتش فيه بتلاقيها نورت لمبة في دماغك، لمَّا بتمشي في مشوار وبعدين بتحس إن فيه إيد عمالة تزقك وتمنعك من إنك تغير اتجاه الجزمة وتتراجع، ساعتها اعرف إن مارد العلامات سايقك لحتة معينة علامتك مستنياك فيها.

محدش هيديكوا كتالوج معين عن العلامات، وكل ما عليكم فعله إنها لمَّا تيجي تلاحظوها وتفهموها وتصدقوا القدر الخفي الأشبه بالصمغ اللي بيلصم كل حتت البازل وبيوصل النقط المتبعترة ببعضها، ففجأة تظهر بشكل واضح ليه معنى انت بس اللي هتفهمه.

توقف عن التفكير في مارد العلامات، توقف عن محاصرته ومحاولات استجلابه بتعويذات الاحتياج واليأس وقلة الحيلة، توقف عن البحث عنه، توقف عن التفكير في العلامة لتجدها كاملة قصادك وساعتها هتعرفها لوحدك، وغالبًا لن تتكرر بنفس الشكل حتى لو دورت عليها وده سحرها، إنها لا ترتدي نفس الثوب مرتين.

عايزين نشبع من الحاجات

من أسبوع كده تقريبًا في حديث ما افتكرت صديق الطفولة "علاء" في وسط حكايات عن الطفولة والشقاوة واللماضة وركوب الزوحليقة بالعكس.

آخر مَرة رجعت فيها المنيا قابلته و أنا داخلة بيت ماما، ووقفنا ثانية كده في وش بعض واحنا بنحاول نستوعب "ايه ده احنا كبرنا كده ازاي، و إيه يا علاء الشيء اللي فوق شفتك ده، يا بابا يكونشي شنب".

وكان الضحك هو الحل السريع اللي بنمارسه كـ"كبار عاقلين" علشان نغلوش على ارتباكنا في اللحظات اللي زي دي.

من سنتين شلة "ابتدائي" فكروا إنهم يعملوا "ريونيون" علشان تقريبًا نشوف لمَّا كبرنا بقينا إيه.

أنا فاكره ساعتها إني مقدرتش أروح لإني مكنتش عايزة أروح، كنت عايزة أحتفظ باللقطة بتاعت "ابتدائي" زي ما هي في ذاكرتي من غير غلوشة.

حسيت إني لو شفت عمرو أو علاء أو عبد الرحمن أو رضوى أو محمد أو رانيا أو حسام وحد منهم بقى عنده كرش أو أصابه الصلع أو بقى يتكلم في البامبرز ومشاكل الإسهال عند الأطفال في أول سنتين أكيد كنت هحس بصدمة عصبية عنيفة لإني لسه في كادر ابتدائي لمَّا كنا بنلعب "سمكة وصياد" وبنعمل عصابة صغيرة كده علشان نضايق العيال في سنة أُولى (دي حاجة مش بفتخر بيها بس أتمنى

أتطهر منها) أو مشروعاتنا في أول مسرحية وازاي اتدربنا عليها.

النهاردة الصبح علاء توفاه الله، وفقد جديد بيتضاف لسنتين بتفرج فيهم على المقابر اللي بتتفتح، وبعدين بترجع تتقفل، وبعدين بترجع تتفتح تاني، واحنا بنمشي ومش عارفة احنا بنمشي بعيد ولَّا قريب.

الفقد في صديق بيكون غريب، ممكن لأن صديقك هو جزء من ذاكرتك وتاريخكم المشترك، يمكن لأنه متورط معاك في كل الأفعال اللي محدش يعرفها غيركم والصداقة كانت المسافة اللي بينكم اللي بتكبروا فيها سوا بعيد عن قيود العيلة اللي ممكن تعوز الحاجات والمسافات بالمسطرة.

فقد الصديق بتضطر توقف الجري للحظة كده وتسأل إيه ده هو مشي؟ طب إيه الحكمة يعني إنه ينام وميصحاش كده؟ طب مش يمكن كان عنده حاجة مهمة الصبح يعملها؟ طب مش يمكن كان عنده حاجة مهمة عمومًا في الحياة يعملها؟ طب مش يمكن مكنش عنده أي حاجة مهمة في أي حاجة بس وجوده هو كان مهم، يعني من غير أي سبب أو منطق أو تقييف أو فلسفة؟

الدبدبة على الأرض في محاولة انك تلاقي الحكمة مش هتنتج عن شيء غير انك تقول "مفيش حكمة خالص" أنا استسلمت خلاص.

صداقتي بـ"علاء" هي صداقة الطفولة بكل جذورها، مساحات مجتمع العمارة المحندق اللي ممكن نلم فلوس علشان نجيب زينة رمضان فبعد ما نلم الفلوس نجيب حاجة حلوة لينا وبعدين نقرر نعمل الزينة بورق الجرايد، القعدة على السلم قدام الشقق واحنا

بنغني "الأقصر بلدنا بلد سياح" مع إن احنا لا في الأقصر ولا عمرنا روحناها بس كان بيعجبنا الحنطور في الأغنية، أنا وعلاء وتحريضي ليه إنه يخبط على جارنا الساكن لوحده في الدور الرابع أنكل "دياب" وبعدين نطلع نجري.

وكان علاء بيصدقني جدًا لغاية ما في مَرة أنكل دياب قعد له تقريبًا ورا الباب ولمَّا علاء اتقفش نادى عليا (بيستنجد بيا باين ولا إيه علشان وشي البريء يخفف العقوبة عليه وعليا أو تتقسم على اتنين) فرجعت فكان أنكل دياب كريم معانا احنا الجوز وادانا شوكلاتة بطعم الموز عجيبة جدا.

ساعتها قررنا نلاقي لعبة تانية متبقاش مؤذية، اشترينا مسدسات ميه و ابتدينا نبخ بيها في الشارع. علاء كان ألدغ في حرف الراء وده كان بيسبب ليه الإحراج دايمًا، ومكنوش بيختاروه في المسرحيات علشان مكنش بيقدر ينطق الحروف صح، بس هو كان دايمًا موجود معايا أنا وعمرو واحنا بنحفظ أدوارنا.

علاء مكنش شاطر في الانجليزي بس طول الوقت لمَّا مامته كانت بتقوله ازاي ريهام بتجيب درجات أحسن منك (طنط لولا الله يراضي قلبها ويصبرها كانت بتقارننا ببعض طول الوقت) كان يقولها عادي ريهام تجيب درجات في الانجليزي هي شاطرة وريهام أصلًا صاحبتي.

و انا بسأل أصحابنا النهاردة كنت عايزة أعرف يا ترى هو لحق شبع من الحاجات؟ جاتلي إجابة كده: محدش بيشبع، محدش بيعرف إيه الحاجات؟ إنتي فاكرة إن الناس بتكبر وبتعجز فبتقعد مستنية إنها تموت علشان خلاص خلصت الحاجات وشبعت،

محدش بيشبع، إحنا بنمشي وفيه حاجة دايمًا لسه مخلصتش.

مش قادرة ألاقي حكمة لأي حاجة للمَرة المش عارفة كام، ويمكن اللي بيحجب عني الرؤية إني عمالة أطارد الحكمة المستخبية في مؤخرة نملة.

يمكن الحاجات بتحصل يا ريهام، الناس بتيجي وبتمشي، وحتى حواديتك عنهم، ورغبتك إنهم يفضلوا في ذاكرتك وتاريخك إنتي الشخصي لحدوث الأشياء مش معناه إنهم هيفضلوا موجودين، هيمشوا، حتى الأسئلة اللي بتسألها يا ترى شبعوا من الحاجات؟ عمرك ما هتعرفيها.

هتمسكي ورقة وقلم وتمشي تسألي الناس في الشوارع والبلاد الغريبة انتوا شبعتوا من الحاجات؟ خلصتوا اللي نفسكوا تعملوه ولا لسه شوية؟ طب ما تعملوه، طب ما يلا، طب مش يمكن مفيش يلا، ومفيش غير اللحظة اللي احنا و اقفين فيها دلوقتي، اللي ممكن ميكونش فيها اي حكمة ولا اي دليل ولا اي إشارة ولا اي شيء.

مجرد إن الحاجات بتحصل، والناس بتمشي و أنا بحاول أفلت إيدي من التشبث بيها علشان هي فعلًا مشيت خلاص، ومحاولة استدعاءها مش هيخليها تحضر، ممكن جدًا يكون مشي في اتجاه معاكس للحقيقة الوحيدة إنها مبقتش موجودة.

أنا معنديش مشاعر حزن أو غضب خالص المَرة دي على عكس كل اللي فات، أنا مستسلمة تمامًا أقرب لحالة خدر أو طفو فوق سطح المية، ومحاولتي البسيطة إني أبعت لعلاء السلام هي حوار مع الحتة الخايفة من نفسي، الخايفة تمشي قبل ما تشبع من الحاجات

فبتجري، ولمَّا بتجري في لحظة معينة بتضطر تقف، وتوقف وتبص على اللحظة اللي أنا و اقفة فيها دلوقتي، أمسكها بكل إيديا وامنحها كل مية قلبي من الامتنان والمحبة وبعدين افلتها لأنها لازم تمشي لو اتخزنت ممكن المية تتحول لمياه راكدة فلازم تمشي.

الإفلات مش سهل، لأنه مش زهد ولا قرار واعي ولا سيطرة تم التدريب عليها في سنين، أبدًا، الإفلات هو عجز شديد، عجز ممزوج بإدراك المحدودية في القدرة على السيطرة على أي شيء اصلًا، لأن الحاجات بتحصل هي بس بتحصل، وفي كل مَرة بتحصل بحاول استقبلها باكتشاف المقدرة على البقاء طافية لأطول وقت ممكن لغاية ما تحصل الحاجة اللي بعدها.

***

الشعرة الرفيعة!

الشعرة الرفيعة بين إنك تغرق جوه نفسك ومشاعرك وبين إنك تدي وقت كفاية لروحك إنها تنتحب وتبكي وتحزن لغاية ما مية قلبك تروق.

الشعرة الرفيعة بين إنك تحاول تفهم العالَم فتخوض روح المغامرة وتقفز بره الكومفرت زون مبتقفزش ليه وتنط في حاجات مجربتهاش قبل كده وبين لأ ما أنا مش هقضيها تجريب ومغامرة وروح الإنتربرونير تتحول لعلاقة هستيرية مرضية عاملة زي البرغوت اللي لابد في فروة الكلب ومنغص عليه عيشته.

الشعرة الرفيعة بين إنك تكون صادق مع نفسك في حقيقتك وبين إنك تطمن روحك بأوهام يمكن دلوقتي مش شايفها إنها أوهام بس في وقت الوهم بيكون مهم علشان ده آخر خيط للأمل.

الشعرة الرفيعة بين إنك تبقى واضح وصريح ومحدد في احتياجاتك وطلباتك وبين إنك تفهم إنك مبقتش الطفل اللي لمَّا يطلب لبن العصفور العالَم كله هيجيبه تحت رجليك علشان ابتسامة الطفل وجمال الطفل، لا انت طفل ولا العالَم أبوك وأمك الحقيقيين ولا اللي كان نفسك يبقوا هُمَ بس محصلش معلش.

وكل يوم الصبح لازم تقول الجملة دي سبع مرات وتتوكل ع الله وتهووووب.

"You need sth you work for it then you earn it"

الشعرة الرفيعة بين إنك تستعد وتمرن عضلاتك، عضلات روحك، عضلات قلبك، عضلات دماغك، عضلات فهمك لمحدودية الوقت، ومواردك، وقدرتك على التحمل، وبين إنك تستخبى وتتكرمش جوه نفسك علشان خايف تواجه عالَم مش قادر تفهم تعقيداته، الخبر الحلو مرحب يا عرب كلنا مش فاهمين تعالى جنبي.

الشعرة الرفيعة إنك تحس بالقرف والعك وشغل بهلونات السيرك في كل حاجة من أول التعليم ولغاية الدِين ومرورًا بسعر الفاكهة في القفص وبين إن ده اللي موجود دلوقتي، هنعمل ايه، هنشتغل بإيه ومع مين، اه طبعًا هنسافر (بس يا بابا احنا قاعدين ع قاعدين في مية البطيخ والأمنيات المعسلة، بس دي فلتت منك والإيفيه مات من سنتين بتاع سافر انت مش شجرة) إيه الحد الفاصل بين إنك تعيش وتمشي حياتك بأقل خسارة ممكنة، من غير ما تعور الشاسيه.

الشعرة الرفيعة بين إنك بتحب القراية والسينما، وبين إنك تبقى فاهم إن الحياة مش كتاب ولا فيلم سينما، وإن القراية والفرجة ع السينما هي الوقت اللي بنحب نلعب فيه دور "اللي بيتفرج لكنه مش متورط" مش هو اللي بيكتب، مش هو اللي بيشيل الطين ويخرج فيلم تخلصه انت ف ساعة ونص وتقعد تفتي بعده.

الشعرة الرفيعة إنك تختار "تأنتخ" جوه القراية والفرجة ع السينما علشان تشحن بيهم طاقتك وترجع تدب في الدنيا وبين إنك تستخبى جواهم علشان مش عايز تكبر وتشوف العالم علشان بقى معقد على الفهم وكل لحظة فيها متغيرات فشخت جهازك العصبي والذهني، أو يمكن عايز تكبر بس مش قادر، أو مش عارف، أو مش

شايف.

الشعرة الرفيعة بين إنك تكبر فتبقى شبه كل "الكبار" اللي قعدت حياتك كلها تتخانق معاهم علشان كنت شاف إنك تستحق الأحسن، وبين إنك "تكبر" فتبقى شبه نفسك مش اللي افتكرت إنه انت.

الشعرة الرفيعة بين إنك تمسك في حاجة، تتبت فيها بكل ايديك، تسعى ليها، تخصص ليها وقت ومجهود وطاقة، تتحمل كل شلوت يجيلك من ناحيتها وانت بتقول لنفسك "لا تراجع ولا استسلام وعاش يا وحش"، وبين إنك توصل إنك قاعد تتخانق في حاجات ممكن تكون مش بتاعتك اصلًا ولا جلدك ولا ملعبك وانت داخل شايل بلي ملون جميل بس انت و اقف في استاد برج العرب ومافيش ماتش ولا جاامهور.

الشعرة الرفيعة بين إنك تخطي فوق "طب مش لو كنت استنى شوية، أو حاولت تاني، أو يعني زقيت من الناحية دي" وبين الموضوع ده تمامه و أنا في اللحظة اللي و اقف فيها دلوقتي مش بإيدي حاجة، أنا سعيت وده تمامي كمان دلوقتي، اللي يحصل بعدين هيحصل بعدين، يا شفته يا مشفتوش، حسب الإذن هيجي بالشوفة وبالتوقيت وبالطاقة لإعادة المحاولة ازاي و انك هتلقاه إزاي علشان ساعة ما يحصل أنا هبقى و اقف فين.

الشعرة الرفيعة بين الغضب اللي بتزعل فيه إن الحاجات اللي بتحبها "بتبتذل" علشان ده بيفكرك إيه اللي بتحبه ومستعد تتخانق علشانه، وبين الغضب اللي بيقابل طاقة الهدد جواك، اللي بيهد بره

بس بهد جوه معاه علشان تحت منه مشاعر تانية مستنتش تتعرف عليها واللي كانت هتدلك لحتة مشفتهاش قبل كده أو حتة فضلت تكتم صوتها سنين طويلة فطول الوقت بتشاوروطول الوقت بتحاول تطلع راسها من عبك، فهي غضبانة منك، و انت غضبان من الدنيا علشان مش قادرتغضب منك الغضب اللي تستحق إنك تلاقي مجال تسامح روحك.

الشعرة الرفيعة بين إنك تشوف الأذى اللي اتعرضت ليه واللي كان دايمًا متغطي بالحُب، وبين إنك تعرف إن كل أذى جاي من بره بترجمه لأذى ناحية نفسك، هو إحساس شديد بالعجز واللوم إنك موقفتش لنفسك الخناقة اللي تستحق، محمتش روحك كفاية، الحماية محصلتش في الوقت اللي كان لازم تحصل فيه، الانتهاك حصل، الأذى جه من اللي متخيلتش إنهم يجي منهم ده، انت و اقف هنا دلوقتي وشايف كل ده.

الشعرة الرفيعة إنك تفضل تزقل طوب بره منك، وبين إنك تدي ليك كل اللي محدش هيقدرولا هيعرف ولا هيفهم إنه يديهولك لأنه مش انت ولا شايف اللي انت شفته مهما اتهيألك إنه فاهم.

الشعرة الرفيعة بين إنك تقف وتتخانق لنفسك الخناقة اللي عايز تاخدها للآخر حتى لو اتعورت في الوش وسابت علامة مميزة، وبين إنك تفضل تتخانق في خناقات ملهاش لزمة علشان تدي نفسك ميدالية المُدافع عن الحق واللي بيقول للحمار يا حمار في عينه، علشان تداري عن الخناقة الوحيدة اللي المفروض تتخانقها و انت يا مش عارف يا مش عايزيا مش شايف وقاعد تهدرطاقتك زي البلطجي اللي قاعد ع القهوة مستني أي خناقة يخش يدب فيها ويطلع لغاية

ما يعجِز ورصيد القوة الشكلية يروح منه فميبقاش غير نظرة شفقة وتاريخ غالبًا هو اللي هيحكيه لناس تانية معشتهوش، بس بتشوفه راجل مسلي كده.

الشعرة الرفيعة بين إنك بتحب "تعمل اللي يبسطك" وبين إنك مش عايز تتحمل مسئولية حد ولا تخوض خطوة فيه احتمال تفشل فيها فبتقرر إن اللي بيديك "سكر" مؤقت شغال معاك وتفضل تاكل في حتت "سكر" لغاية ما تتلهي وتنام وتفس خالص.

الشعرة الرفيعة بين إن حد يوصمك ويقولك على فكرة انت عندك كذا، وي*خ عليك أي ألوط من ألاليط دماغه، وبين إنك تصدق فيك اللي غيرك بيلبسهولك وبين إنك تتقبل حقيقتك وتتعامل معاه كل يوم زي ما يكون بتتقابلوا أول مَرة وفيه دايمًا إمكانية للشفا وإعادة الكشف.

الشعرة الرفيعة بين إن حد يقولك خلينا نقلِّب عيشنا وأكل عيشنا وبين اللي مؤمنين ومصدقين فيه وممكن نخسر واحنا بنعمله عادي، الخسارة مش بتعورنا، اللي بيعورنا إننا نفضل و اقفين رجل في الشرق ورجل في الغرب ومفشوخين وفاشخين الناس حوالينا.

***

محدش بينقذ حد

محدش بينقذ حد، حتى السبَّاح اللي قاعد على الشط وبيدفعوله مرتب شهري علشان لمَّا يلاقي حد بيفلفص هيروح ينقذه فعلًا، بس لو اللي مدلَك ايديه هياخدك معاه لتحت غصب عنك غريزة الحياة جوه منك هتعيد توجيه طاقتك إنك تنقذ نفسك من باب أولى بلا تردد وبلا تفكير وبلا فلسفة.

اليقين الوحيد إن غريزة الحياة –على عكس إرادتنا اللي بتضعف– أيوة بتنتصر، محدش مهمته في الكون إنه ينقذ حد لو ربع الطاقة والمجهود اللي بنوجههم علشان ننقذ التانيين بنبخل بيهم شوية ونوجههم ناحية روحنا كنا عملنا أهم واسمى إنقاذ، كنا حلينا الواجب بتاعنا وخلصنا، كنا أنقذنا روحنا.

محدش الوصف الوظيفي بتاعه في الحياة إنه ينقذ التانيين لأنه في الحقيقة لمَّا بيعمل كده بيخلق ضحايا جداد، بيفسح مكان جوه روحه علشان الخط على استقامته يشكل جوه منه دورضحية جديد لو اللي أنقذهم تخلوا عنه، فبدل ما يسأل نفسه السؤال الأصلي والأصيل إن ليه مشيت مشاوير ناحية الناس علشان أنقذهم و أنا من باب أولى ممشتش نفس المشوارناحية روحي علشان أخليها تبطل خناق مش ده إنقاذ؟!

دي مش أنانية ولا دعوة للتخلي عن الناس والصحاب والجدعنة، والوقوف في كتف بعض وشيل بعض لمَّا الأرض تتلخلخ من تحتينا، بالعكس دي دعوة إننا واحنا بنعمل ده بكل عطاء وصدق نبقي

شايفين إحنا و اقفين فين في النقطة دي، ونبطل نخلّق كر ابيج ناحية روحنا لمَّا حد يقرر إنه خلاص مش عايز ينقذ نفسه و انه اكتفى.

محدش بينقذ حد، وجودنا في دوابر بعض علشان نشوف الحتت مننا في غيرنا اللي معرفناش نشوفها فينا لوحدنا جهل بقى على غشومية على غلوشة كله وارد.

لو الشوف ده هيخلينا نجري عليهم هُمَ علشان ننقذهم بدل ما نجري على روحنا ونلحقها، يبقى احنا الاتنين محتاجين نتعالج، اللي طول الوقت مستني المنقذ والمخلص من براه وقاعد يزعق زي العيل الرخم في الحدوتة اللي قعد يزعق الحقوني الحقوني... والقرية كلها جريت عليه وسبته في النهاية.

ومن الناحية التانية اللي متخيل نفسه إنه هيغير العالَم وهينقذه وبيفرهد روحه في دور عربية إسعاف من غير سارينة دايرة تنقذ العالَم كله ومش قادرة تنقذ روحها، يمكن لأنه لسه مش شايف انه محتاج إنقاذ أو شايف بس مش عارف أو مش قادر يبطل.

محدش بينقذ حد محدش مهمته إنه ينقذ حد مهمتك إنك تشوف غريزة الحياة الحافة بتاعتها إيه عندك، و إيه اللي بيوصلك للحافة، و إيه اللي بيخليك لمَّا توصل للحافة تزعق عليها بأعلى صوتك علشان ترجع منها، أو إيه اللي بيسرق منك الصوت والسرقة مبتحصلش مَرة واحدة دي بتكون حلت من فترة.

محدش هياخدك من إيدك وهيقولك أهو مانيفستو المعرفة مشوار ناحية نفسك هتفضل تتمخمض فيه بس كل ما تبقى صادق مع نفسك.

بديهية واضحة محدش بينقذ حد، محدش بينقذ حد حتى بالحُب. الحُب اللي مبنعرفش نديه لروحنا في الأصل بنوهبه لل"غير"، وبنتخيل فيه خلاصنا، وبنحب نحب تاتش السموفي فعل مهواش سامي.

محدش بينقذ حد، كفاية بقى نكتبها ونملى بيها الصفحة.

***

أنا آسف/ ة، يعني إيه؟

الجملة بتاعت "أنا مكنش قصدي أأذيكي أنا آسف/ة" دي جملة عجيبة والله، مش لإنها بتبقى جاية من اللي أصلًا كانوا مسئولين عن حمايتنا من الأذى فاحنا لسه بنحاول نستوعب فكرة إن اللي كنا باصينله إنه "بيحمينا" من وقوع الأذى هو اللي مارس فعل الأذى علينا في اللحظة اللي إحنا بنحاول نستوعب ده ونهضمه ونعبر صدمة العبور من مربع "الحامي" لمربع "المؤذي" وإكسسوارات كل شخصية.

وده وقت مربك ومضاعف القسوة مش لإننا بنختبر قسوة الأذى اللي وقع علينا ولسه مش عارفين نمسك هو إيه اللي واجعنا بالظبط أو إحنا عايزين فعلًا نغضب من إيه حقيقي، ولمَّا هنتحمق في العركة دي إحنا بنتحمق على أنهي حتة بالظبط.

وفي نفس الوقت بنمارس بكل أريحية القسوة ع الذات، إننا كان المفروض "نعمل" و"نحمي" "وننضج" و أفعال كده فارغة من جوه خالص لأن الأذى وقع خلاص.

في نفس الوقت فيه حد مش شايف كل ده وو اقف ع الناحية التانية بعيد خالص وبيقولنا أنا آسف مكنش قصدي أأذيكي ومش مستوعب أصلًا إن كلمة "آسف" مستفزة وأصلًا العبور لقبولها ده محتاج مشاوير مش مع الطرف البعيد لكن العبور ناحية الرحمة والسخاء ناحية روحنا إننا نسامحها أصلًا ونستنى عليها ونصبر على حيرتها ونتفهم إن العبور مش سهل ومش لذيذ وروحك بتنسلخ معاه.

وإن اللحظات اللي بتشوف فيها تبدل الأدوار إن اللي افترضت فيه "يحمي" ويسند مارس النقيض تمامًا دي لحظات قاسية بالفعل لأنك أصلًا مبتبقاش عارف التعويرة جت فين ونخورت قد إيه في اللحم ويمكن العضم، فكلمة آسف دي فاضية من جوه وممكن تكون علشان ندور على راحة مؤقتة لتأنيب ضمير أو علشان نكمل في بُنا صورة مزيفة عن ذو اتنا إننا حلوين ومش بنأذي حد... بس الأذى فعلًا حصل، واللي وقع عليه الأذى بيحاول مش بس يمشي مشوار إنه يتعافى ده بيحاول يشوف أصلًا.

والشوف في حد ذاته موجع لأنه بيمشي فيه لوحده تمامًا، كأنه ستارة شيفون مليانة تطريز مش هيتكرروخيوط ناعمة ومطلوب منها إنها تخش الغسالة الفول أتوماتيك في أي لحظة في اليوم وتندعك وتطلع من غير ما أي تطريزة في روحها تنسل.

فلما حد فجاة يفتكر روحه ويقرر يقول أنا آسف، مش بالضرورة خالص على فكرة نستقبل الكرم الأناني ده ونقوله اه والله انت فُلة.

في الحقيقة بنقوله لو بتدور على أي حاجة عندي علشان تحسن بيها صورتك المتخربأة عن نفسك، معلش والله مكنش ينعز، معنديش، اتفضل خش الغسالة بتاعتك انت وسيبني في غسالتي الله يرضى عليك.

وعلشان كده أنا هَدي لنفسي الحق إني أعلن مانيفستو الأسفنة، لأ مش دي، الأسف:

1- أنا آسف/ة: بقولها في الوقت المناسب ليا مش المناسب ليك يمكن يكون معناها إن عايز أتخلص من إحساس بالذنب

تجاهك، علشان أقدر أمشي في الدنيا و أنا محتفظ بصورتي "الحلوة" عن نفسي، ومش قادر استحمل أجلدها بذنبك.

يبقى أنا بقولها "ليك" بس هي "ليا" علشان تخليني أحس "أحسن" مش علشانك انت ولا علشان تحس انت أحسن.

2- أنا آسف/ة: بقولها وبجري زي ما أكون بقرا في اللي قدامي إنه/ها عايز أو محتاج يسمعها علشان يبطل نظرة اللوم والعتاب اللي مش قادر اتحملهم، ولا أنا قد إني أخش معاه في "كلام" علشان أفهم أو هو/هي تفهم فبقول الجملة اللي تقفل الدومينو"أنا آسف"، أهو مش انت بتدور على دي، أهيت خدها من ع الرف وحِل عن نافوخي بقى متصدعنيش.

في كل الأحوال، حتى لو بقي بعدها فهو مش بقاء حقيقي، هو بقاء اللي بيجهز نفسه للجري أول ما الفرصة الجاية تيجي.

جملة أنا آسف/ة بتبقى البزازة اللي بيسد بيها حنكك علشان تبطل تفكره أو تبطل "تعيط" أو تبطل تدبدب في الأرض، وهو/هي معندهومش أى استعداد للزيطة دي.

3- أنا آسف/ة مش هقدر اقولها دلوقتي علشان أنا محتاج/ة أفهم بس اللي حصل، أنا مستوعبة إحساسك بالألم (بس المشاعر مسئولية أصحابها على حسب تاريخهم الشخصي مع الجرح) ومستعد/ة أستنى لغاية م الوقت يكون مناسب ليك بعد ما تاخد/ي وقتك خالص في إن "سخونية المشاعر تهدا" علشان تشاورلي أنا دوست على أنهي زرار غلط، أنا محتاج الفهم ده ليا أولينا.

وساعتها لمَّا تساعدني أشوف، بإذن الله أنا هشوف اللي مكنتش

شايفه، فهعمل التالي: مش بس هقول أنا "آسف/ة" هقولها وهعنيها وهترجمها.

الترجمة هنا مش معناها إني أجري وأحمل نفسي مسئولية مش مسئوليتي، لكني هشوف إيه اللي بدر مني وسبب ألم لشخص تاني، وهل دي مسئوليتي ولا مسئوليته ولا مسئولية في منطقة تالتة تستوجب اتنين يشيلوها مش طرف لوحده، و إيه اللي ف إيدي أعمله دلوقتي حالًا للتعويض أو تطييب خاطر هذا الشخص.

و إيه اللي بعتذر إني مش هعمله لأني مش هقدر أعمله ومش ف إيدي أعمله لأني مش قادر اعمله.

أنا آسف/ة لمشاعر الألم، أكيد أنا مقصدتش أتسبب ف ده، لكنه حصل، أنا مستنيك/ ي تاخد/ي وقتك، هنتقابل بعدها، محتاج/ة تشاورلي وتساعدني، لمَّا تشاورلي لسه عندي اختيار "أساعدك" تطيب جرحك لكني مش هشفيك.

ممكن أقعد واستنى بس المَرة دي انا مستني بوعي علشان أنا عايز اكتشف الحتة دي معاك، وممكن أقعد شوية لغاية ما أحس إن خاطرك اتجبر و اتطيب وبعدين أعتذر وامشي.

وممكن أعتذر إني اقعد بالكُلية مع اعتذاري على كل اللي حصل وسؤال حقيقي: هل فيه أي حاجة أقدر أعملها علشان النقطة اللي و اقفين فيها تكون أقل حدة عليك؟ والإجابة مش إلزام، الإجابة باب بيتفتح لاختيارين لصاحب السؤال نفسه: يا يعمل، يا يختار ميعملش.

ليه أنا "آسف/ة" مهمة، علشان حرام وعيب وميصحش ومينفعش نقابل كل الناس دي المدبوحين حرفيًا، اللي جلدهم

وروحهم انسلخت وبقوا هيكل عضمي علشان مستقبلوش إمكانية الاعتذار في الوقت اللي كان حدوثه هيدي سيناريو تاني للحياة.

يمكن علشان متقالش في وقته أو بالطريقة أو بالأمانة والصدق الكافيين اللي يخلوا البني آدمين ماشيين متطمنين في الدنيا إن الخطأ بيحصل، علشان بشر لكن ملازم ليه إمكانية أن نعتذر، نعتذر ليس عن كوننا بني آدمين محدودين في الإدراك والفهم، نعتذر لإننا فاهمين ألم اللي بيستنى اعتذار "حقيقي" ومش بيحصل وقد إيه ده بينخر في الروح، وبيزلزل أرض طرف ما وبيفقده ثقته أن هناك خير أو جبر خاطر في الحياة عمومًا فبالتالي، استباحة الأذى عادية وكل واحد يفضل ماشي شايل شيلة على كتافه لغاية ما ضهرهم انتنى.

الاعتذار جزء من ديناميكية العلاقات البينية سواء تعمله بإيميل وتقفل الدايرة، وده في حالة الوظايف لو انت إتش آر، متسيبش الناس مش فاهمين مش عارفين ومش لازم الناس دول يبقوا هُمَ اللي شغالين معاك وفريقك علشان تديلهم أهمية أو تبعتلهم إيميل فيه سطرين، ممكن جدًا يكونوا ناس مهتمين بالشغل معاكم، أخدوا من وقتهم إنهم يتساءلوا أو يبعتولكم مقترحات، أو قدموا على وظيفة مثلا: ابقوا ردوا عليهم ردت المية في زوركم، بكل الحب.

أو بأي طريقة تانية في الدنيا، الناس بتمشي وبتخبط في كتف التاني، وبتبصله باستغراب اللي هو "إيه اللي جاب كتفك في دراعي" وكمان عايزني أعتذر ده انت غريب أوي.

***

إنت عمري!

لمَّا أم كلثوم غنت "إنت عمري" الجمهور ردد وراها عظمة على عظمة يا ست.

ولمَّا أنا سمعت الأغنية أول مَرة، قلت لنفسي هي ليه الست عظمة بتوعده بحاجة هي متملكهاش.

محدش فينا بيملك عمره، لا اللي راح ولا اللي جاي، محدش فينا يقدر يهدي العمر ده لحد تاني حتى لو كان أقرب الناس ليه.

بنقف عاجزين إن إيدينا تفضل متبتة في اللي بنحبهم لو ساعتهم جت ونزلوا من القطر في محطتهم.

ليه الناس انبسطت وبتنبسط وهتنبسط لمَّا أم كلثوم قالت "إنت عمري". ليه الناس مش بتغني للي بيحبوهم وبيقولوا "إنت بيتي".

في مرحلة من عمرك مبتكونش بتدور على سنين جديدة ولا أيام على كالندر منور باسمك في دفتر الأحياء، في مرحلة ما من عمرك مبتكونش قادر تناهد ف حاجات بتثبتلك طول الوقت انك عاجز وضعيف وهش زي الزمن، زي الاختيار، وزي الحياة اللي ممكن تمنح أو تمنع عنك بدون أدنى منطقية ف الأحداث.

في مرحلة ما من عمرك مبيكونش شيء جميل تهديه للي بتحبه، يمكن لأنك لسه بتتصالح معاك وبيك على الدنيا، أو لسه بتحاول تفهم غلطات ف عمرك اللي فات، أو بتحاول ترقع خروم روحك

لَينكشف ضعفك ف عمرك اللي جاي.

لمَّا أم كلثوم غنت "إنت عمري" والناس قالت وراها عظمة على عظمة يا ست كانوا أكيد مبسوطين، بس اللي بستغربله إنهم طول السنين وقفوا بعداد الحُب والتقدير لشخوص اللي بيحبوهم عند الـ"عمر" اللي ممكن تمنحه للي بتحبه كأقصى هدية مع إنك مش بتملكها.

بتخيل إن في مرحلة ما من المزيكا والطرب والحياة مش هنغني "إنت عمري"، بتخيل إننا هنقول لبعض "إنت بيتي".

البيت اللي بتروح فيه وبتحسه إنه ليه ريحة وطعم وتفاصيل بتخليك تقلع هدومك وهمومك وتبقى بلبوص زي ما انت بأقل قدر ممكن من التجمل والتجميل والتلصيم والترقيع.

البيت اللي بتحس فيه انك ممكن تتكوم وتكرمش جوه روحك ولوحد سألك انت فين مبتنزلش ليه هترد عليهم "أنا في البيت".

البيت اللي ممكن تبنيه مع حد بتحبه فتفضل التفاصيل على الحيطان اللي بتفكرك انك على باب المطبخ كنت بتطول بقيمة 3 سم كل أسبوع وكل شرطة على الباب هي ضحكة انك بقيت طويل وأهبل.

البيت اللي ممكن تخش ف ركنة منه وتطفي النوروتفضل تعيط وتعيط وتعيط لغاية ما تشنهف وبعدين تروح تمسح بر ابيرك وتطلع للدنيا، ولمَّا حد يسألك و انت عامل إيه ترد عليهم وعنيك مقورة زي الطماطم وعندك كبرتير اني أصيل: "انا ميت فل واربعتاشر".

البيت اللي بتلملم فيه قصاقيصك وصورك وضهر الكراسة اللي

بتكتب عليه أي كلام والسلام وفاكر نفسك شاعر الجيل في العامية، ولمَّا بتيجي تسافر بتقف قصاد كومة من الحاجات اللي عايز تشيلها معاك، وبتكتشف انك محمل دايمًا بوزن زائد متشعلق في "بيت" متقدرش تعبيه في شنطة سفر، ولا تستحمله طيارة واحدة تاخدك لأبعد نقطة على الخريطة وفي الحقيقة انك لسه connected للـ"بيت".

في زمن ما هنغني لبعض "إنت بيتي"، هيقولوها الناس لمَّا ياخدوا قرارهم الحياتي إنهم يبنوا "بيوت" حقيقية تشبه روحهم مش يتكوموا ويكوموا حاجات في "مساكن".

هيغنوها الناس لمَّا يحسوا إنهم هُمَ اللي بيعملوا الفرق في البيوت وفي الأماكن ويبتدوا ينسجوا بصبر وبحب "بيوت" بتكون قايمة على أفكارهم اللي متقبلش المفاوضة ولا المساومة ولا المناهدة.

هيدندنوها الناس "إنت بيتي" وهُمَ بيفضلوا يتشعبطوا ف الأماكن وف الناس وف القصاقيص الصغيرة اللي بتربطهم وبتخليهم ينتموا لمساحة جوه روحهم اسمها "بيت".

هيصدقوها الناس لمَّا الـ"بيت" يبقى المساحة على خريطة روحك اللي بتخليك قادر تقعد مش متكتف كأي مواطن صميم بالفانلة والشورت ف يوم حار جدًا، بس قادر إنه يتباهى ويتماهى مع عيوبه قصاد حد علشان الـ"حد" ده هو "بيته".

إنتي بيتي... و انت بيتي.

"بيت" يعني سكن، يعني شنطة "عمرك" كله بكل ما فيها، زغاريط وخيبات وهلاوس و انتصارات، وأوهام كنا فاكرينها حقايق، وحقايق

طلعت ف الآخر فنكوشية النكهة.

البيت يعني اللحظة اللي بكل ما ف عزمك تحدف الشنطة اللي شايلة "روبابيكيا" روحك لأبعد نقطة ممكنة و انت متأكد انك هتلاقيها، هتلف وترجع وتلاقيها، مع شخص هيكون "بيتك"، أو مع مساحة ونس ف روحك هتبقى هي "بيتك".

في زمن تاني الناس هتغني "إنت بيتي".

***

النساء من الزهرة والرجالة من كفر فرشوط!

What Alpha men ever want?

Three deadly mistakes in the relationship

Why men like bitches?

خلوني اعترف إني قضيت وقت لا بأس بيه من عمري و أنا بقرا الكتب دي.

كتب ظريفة لطيفة نضيفة بتوصف العلاقة بين الراجل والست، هي كتب أشبه بنوعية كتالوج التلاجة اللي بيشرحلك كيفية توصيل الأسلاك وازاي تظبط الترموستات بتاعت الحرارة، وطبعًا بيسيبلك الهوت لاين علشان تتصل لو الموتور هنج أو الفريزر خلى العلاقة ف وضع الفروزن تمامًا.

سامعة حد قاعد على المدرجات بيقولي:

You idiot, stop wasting your time and go Get a life.

والترجمة بتاعتها يا هبلة يا عبيطة يا أم بدوي قومي فزي على حيلك وهاتي كتاب كيف تصطادين عريسًا حبيبًا في عشرين خطوة (مصحوبًا بوش واحدة بتمصمص شفايفها وبتتعايق برمش العين والحاجب).

والحقيقة اللي مش لازم اضطر إني أقولها إني فعلًا لدي حياتي العاطشفية الخاصة متقلقوش.

بس بعد ما كنت قارئة جيدة جيدًا للكتب دي، اكتشفت إن العلاقات الحقيقية مبتقومش على كتاب بيوصف العلاقة بتاعت اتنين تانيين.

واكتشفت برضه انك لمَّا تتفرج على حاجة من بره غير تمامًا لمَّا تبقى قاعد جوه الفرن وحد مولع عليك درجة حرارة 25 فهرنهايت.

واكتشفت برضه أخو الاكتشافين العظيمين اللي فوق إن أوقات كتير جدًا كنت بحط مجهودي في الحتة الغلط، إني أفسر واحلل وامنطق واعمل الناصحة الفكيكة في فهم الأفعال العتيقة وطبعًا بستهلك كل مجهودي من خلال إني اقلب في تشابتر رقم 7 من أي كتاب من الكتب اللي فوق.

هل الكتب دي مش مهمة؟

معرفش يمكن تكون مفيدة أو أفادت حد في يوم من الأيام بدليل إنها بتحقق مبيعات كويسة يعني.

اللي اقصده هل هي مفيدة ليا كشخص؟

الحقيقة لا، الكتب دي بتقدم وصفة جاهزة لعلاقات هُمَ بيسموها: (Alpha Relationships)

يعني حاجة كدهوت سوبر أو لوز اللوز، وفي الحقيقة ده مش بيحصل لأكتر الأسباب المنطقية.

انت كشخص مش لوز اللوز، ولا انت السوبر هيرو اللي بيلطعوه على غلاف المجلات مصحوبًا بتعليق (شايف اللي مش بيشرب اللبن هيبقى شبه عمو).

دلوقتي بقى عندي يقين أكتر إن العلاقات الحقيقية أو اللي بتدوم على الأقل ولو ان مفيش حاجة بتدوم يا ابن والدي. هي البسيطة المباشرة الواضحة، والأهم هي العلاقات اللي كل طرف فيها بيعمل "مجهود" علشان تستمر العلاقة وتتبني.

طبعًا يعمل مجهود حسستك انك شايل قصعة مونه على كتفك، بس المجهود هي الخطوات الصغيرة البسيطة برضه اللي بتبني علاقة إنسانية.

إحنا قبل ما بنخش ف علاقة بيبقى عندنا تصورات جبارة إنها هتخلينا سعداء ومكتملين وعشرين ملاك مضروبين ف الخلاط مع بعض.

والحقيقة إن العلاقات عاملة زي الصندوق الفاضي كل واحد بيخش يطلع من روحه اللي يقدر عليه ويحطه في الصندوق، وبيفضل الصندوق يتملي بكل الحاجات اللي تخلينا نكتب على الصندوق هُنا توجد علاقة إنسانية صعب انك تنساها.

بعد الرغي واللت والعجن، جميل إن احنا يبقى عندنا عوالم موازية بتساعدنا إن احنا نفهم ونحلل ونفصص العالَم اللي منعرفوش.

بس جميل برضه إن احنا نزق كتف في العالَم اللي مش موازي، العادي الحقيقي، ونعترف لنفسنا إننا مش ألفا بني آدمين، وجميل إن احنا نستثمر نفسنا مع اللي بنحبهم.

وعلشان برضه أقول بوقين زي بتوع الكتب المذكورة أعلاه، لو انتوا في بداية الريليشن هاتوا برطمان، أينعم، وفي قصاقيص ورق

صغنتتة اكتبوا حاجات حلوة أو مقندلة ميضرش برضه، وسيبوها ف البرطمان بس ابقوا اعملوا دوت انتو الاتنين مع بعض وسموه برطمان حُبنا (وش لينا وهي بتكلم مسعودي قبل ما تنزل بالقلة على دماغه).

***

حميمية، يعني إيه قلة أدب دي؟!

إحنا بنستخدم كلمة "Intimacy" في اللغة العربية بمعنى "الحميمية"، والحقيقة دايمًا المعنى اللي بيتبادر للذهن أول ما كلمة "حميمية" تطرقع في الجملة هو ممارسة الجنس بس احنا بنحط التاتش المؤدب علشان ميتقألش صراحةً.

مع إنه مفيش مشكلة أصلًا إنه يتقال صراحةً وبشكل مباشر علشان يقصر السكة لكتير من الطرق الملتوية اللي في النهاية هتؤدي إليه.

من فترة كنت بتفرج على مناظرة على البي بي سي، وكالعادة قسموا الشاشة لنصين النص الشمال كان متصدره شخص بيتكلم عن التربية الجنسية في المدارس كمنهج وكبدايات لتقديم معلومات أساسية ممكن يحتاجها المراهقين في فورتهم الجنسية.

النص اليمين بقى كانوا بيقدموا صاحبة موقع تعدت السبعين ربيعًا يا جدعان بتتكلم عن موقع دشنته بترفع فيه الخبرات الحياتية الجنسية الحقيقية لأصاحبها وطبعًا ده بكامل مو افقتهم الكتابية (كل واحد قاعد بورقته وبتوقيعه).

النقطة المحورية في الجدل هي هل احنا بنقدم معلومات يمكن تصنيفها إنها: (authentic and genuine) ولا بنقدم معلومات بتتصنف إنها: (shallow and unreal).

الست بتاعت الموقع كانت بتدافع عن التجربة اللي بتخوضها

إنها لاحظت إن الناس على الرغم من تلقيها لكورس التربية الجنسية في المدرسة (حاول تمسك نفسك في اللحظة دي انك تفتكر ميس حنان بتاعت العلوم لمَّا شرحتلنا الجهاز التناسلي للمرأة في تانية إعدادي وهي باصة في سقف الكلاس وبتشاور إشارات غريبة في الفضا، تقريبًا كانت بتكلم كائنات فضائية هي لوحدها شايفاهم حاول حاول).

الناس دي بقى على الرغم من إنهم ينشكوا في نواضرهم أخدوا تربية جنسية في المدرسة إلَّا إنها بتميل للفرجة على البورنوجرافي، وفي العلاقات الأكثر مرونة بيتفرج طرفا العلاقة سوا علشان بيحاولوا يضيفوا الحياة للعلاقة الروتينية بينهم.

الست القرشانة قالت إن البورنو كصناعة بيخضع لمعايير كتير من أهمها انه مش حقيقي، و انه بياخدك لعالَم بلاستيكي بتلاقي كل حاجة فيه حلوة و أقرب للكمال، وبالتالي بيخلق جوه منك صراع لمَّا بتيجي تمارس العلاقة في الو اقع لأنه خلق في عقلك صورة ذهنية معينة بتحاول توصل ليها، وفي الأصل الصورة الذهنية ديت هي مجرد تلاعب بالدماغ (Image Manipulation)

فهي اهتدت إنها تعمل الموقع بتاعها علشان تشارك الناس بخبرات حقيقية، هتقابل فيها ناس حقيقيين بأجسام عادية مثلًا، وبأخطاء مضحكة برضه، وفي لحظات مثلًا عدم التوفيق أو الانبساط المهم اللحظة اللي هُمَ يقرروا إنهم يتشاركوها ويرفعوها على الموقع بكامل إرادتهم.

الجدل كان ممتع لأقصى درجة، مش علشان هم بيتكلموا عن الحريات ولا علشان بيتكلموا عن موضوع مهم في الحياة ولا علشان

طريقة الانتقال من نقطة للتانية في بناء الحوار نفسه للمتلقي بحيث هو لوحده يبقى قدامه البدايل اللي يختار منها وده في حد ذاته قمة الحرية انه يبقى عندك الحق انك تختار بوعي.

الحوار كان مشبع ليا جدًا لأنه ببساطة الولية قالت جملة في نهاية الحلقة:

"We should bring this debate to the open so we can tell our children what intimacy is. It is our responsibility to give them healthy and authentic alternatives in a way that they formulate their own concept about intimacy"

وهنا لقيت نفسي بقى بسأل روحي: أيون يا بنتي بقى إيه هي الانتيماسي اللي خالتك الحيزبون بتتكلم عنها (ودي من اللحظات المتكررة اللي بقفش نفسي بعمل حوار موازي مع التلفزيون وخصوصًا لمَّا ببقى بتفرج على مناظرة).

الانتيماسي على حسب تعريف الويكي شيكي بيديا إنها العلاقة السيكو سيكو بس لو قفزت شوية كدهوت بين السطور هتلاقي إنها

It satisfies human's desire to belong and love

ولو انت عايز رأيي عزيزي الدوق دي أهم حتة في المفهوم كله اللي هتبني عليها دماغك.

الحميمية هي احتياج الإنسان إنه ينتمي، عارفين الفعل ده، اللي عادة تلاقي صورة عَلم وطنك بترفرف في دماغك، اوسكت اوسكت.

طلع إن الانتماء ينفع يكون لشخص، ايون لإنسان تاني،

الحميمية إنك تنتمي. يعني تحس انك مرتاااااااح، كل كلاكيعك مفكوكة، وكل الأسلاك الملعبكة جوه منك متعرية معاه أو معاها من غير ما تبقى قاعد متحفزيا ترى لو دُسنا على السلك الأخضر القنبلة هتنفجر ف وشي ولا ف وشه.

الحميمية إنك تحس انك في اللحظة دي "شبعان" جدًا، ومتراضي جدًا، ومبسوط جدًا جدًا جدًا.

ليه بقى، من غير ليه على فكرة، ومتحاولش انك تمنطقها أو تفلسفها.

وده مش بيحصل لمَّا بيكون البارتنر بتاعك أحسن حد في الدنيا على فكرة ولا هي بتكون الموديل الساحقة الماحقة اللي طالعة من كتالوج مليان صور تفتح النفس وتحبط في نفس الوقت.

ده بيحصل لمَّا انت لوحدك بس بتعرف انه حصل في اللحظة دي مع الشخص أو الشخصاية دي، وبدون أي سبب منطقي برغم كل محاولات العقل البشري المنهك إنه يرصها جنب حجرين الشيشة جوه الإطار المنطقي في فعل أي حاجة، وساعتها هنقدر نقول إنه اتحقق الحميمية بالبعد التالت بتاعها.

لو انت لسه بتقرا معايا احب اشكرك من معاميقي، واحب اتمنالك انك تكلبش في "لحظتك الحميمية" أول ما تلاقيها، وهتلاقيها لوحدك محدش هيوريهالك.

البُعد التالت

عارفين لمَّا بنروح السينما وبنلبس نضارات بيسموها الثري دي، وبنقعد في الصف عاملين زي الشيخ حسني وهو قاعد في الفلوكة وبيتفرج على فيلم سينما في دماغه هو، أهو نضارات البعد التالت دي محتاجينها في الحياة.

النضارات اللي بتخليك تروح للبعد التالت الأعمق في الكادر اللي مش كل الناس بتقف عنده أو بتهتم بيه، فيه ناس لمَّا بتيجي تاخد لقطة كاميرا بتهتم جدًا إن كل التفاصيل تبقى ثابتة.

المشكلة في صورة الكاميرا إنها على قد ما هي ثابتة على قد ما هي بتتحدى اللي بيقف ورا الكاميرا إنه يحاول ينَطق الثبات ده ويحركه.

نفس محاولة الإنسان في المعافرة في الكون إنه يحرك كل حاجة ثابتة أو اتهيأله إنها ثابتة.

أكيد ده ميل فطري عند الإنسان وجزء من طبيعته البشرية أو جزء من تحسيسه وتلمسه لطريقة علشان يكتشف بيها الحياة حواليه. إنه يرفض الثبات ويرفض الكادرات الثابتة فيما بين كادر الولادة وكادر الموت محتاج إنه يتحدى الثبات الخامل بالمزيد من الحركة، وعلشان يعمل ده بتبدأ رحلته إنه يتحرك بشوية مسلمات تعينه على مشقة الرحلة، لكنه سرعان ما يكتشف إنه محتاج يفحصها ويمحصها وأوقات يهدها وبعدين يرجع يبني غيرها واللي بتتحول بدورها لمسلمات تانية جديدة.

ويبدو برضه إن ده هو معنى الحياة لأنك لو اقتنعت إنها و اقفة محلك سر أو إنها دايسة على زرار (Pause) فده معناه موت إكلينيكي محتم.

رغبة الإنسان إنه ياخد نفسه لعمق الأشياء والأحداث والصور.

رغبة الإنسان إنه يربط كل الثوابت بحواديت مروية أو لم تروَ بعد.

رغبة الإنسان إنه يُضفي تفاصيل منمنمة جدًا لكل الأشياء الثابتة جدًا وكأنه بيحاول يمنحها حياة من نوع ما، أعتقد ده ميل فطري للإنسان علشان يفكر نفسه إنه حي.

قيمة الحياة اللي بتنتج نفسها بأشكال كتير حوالينا حتى في صورنا الثابتة.

قيمة الحياة اللي بنحاول نضفي بيها العمق على الحواديت اللي بنحكيها للولاد قبل ما يناموا علشان لمَّا يفتحوا عنيهم يعرفوا إن الحياة ليها معنى يستحق إنك تفتح عنيك عليه كل يوم.

قيمة الحياة إنها بتاخدك زي النهر للعمق مهما بلغت اتساعات الدوامات المخيفة اللي فيه، ومهما استكان الإنسان و اتطمن إنه بيطفو على السطح بتفضل جواه الرغبة للوصول لعمق النهر، المعنى ورا كل حاجة وده اللي بيخلي الحياة تبدو على عدم منطقيتها في كتير من الأوقات إنها منطقية جدًا بل تستحق إنك تعيشها لآخر فتفوتة فيها.

الأكل في حد ذاته مافيهوش معنى، لكن لو كان الأكل طبق ملوخية معمول بشهقة مصرية وجنبه حتة بطة شقية يبقى أكيد هيبقى ليه

"معنى" ثقافي إنساني من نوع ما في سياق ما.

الأكل الغالي جدًا اللي ممكن تشتريه من مطعم مشهور جدًا ممكن يفقد كل خواصه المغرية لو انت في لحظة استحضرت صحبة افتقدتها مع الأكل، أو بصيت للكرسي الفاضي وقولت في نفسك يا سلام لو كان فلان أو فلانة معايا وكنا أكلنا سوا.

والفعل اللي بنستخدمه هنا في الكادر ده هو أكلنا لكنه في الحقيقة معناها "عشنا" أو "دقنا الحياة".

الجنس على قد ما بيتحكم في حياة الإنسان وضروري لبقاؤه واستمرارية سلالته، بس في حد ذاته هو لسه على المستوى اللي بيطفو بيك على السطح، وبالتالي متقدرش تصنع منه هو لوحده حياة تقدر تحط عليها طابع "الإنسانية".

الجنس لو أخدته على مستوى البُعد التالت هتلاقي إنه لحظة الاكتمال اللي بيحتفل فيها الجسد بلحظة اكتمال الروح، وعلشان كده صعب إنك تشوف علاقة جنسية ناجحة بالمعنى الفيزيقي لو مكنش طرفاها بشكل ما عندهم الفهم الإنساني لخر ايط شركاؤهم الروحية، هُمَ ممكن يكونوا بيعملوا المهمة في البعد الأول أو التاني بس طول ما البعد التالت لسه ناقص الصورة هتفضل في وضع الـ"Blurr".

مش من السهل إنك تفضل تنكش في الحياة حواليك على البعد التالت لأنها مش بتمنحك الإجابات لأي سؤال بطريقة سهلة ومباشرة.

مش سهل لأن الحياة أصبحت صاخبة زي الموجة العنيفة اللي بتاخد على سهوة، وبتجيبك على قفاك، و انت بدورك بتستهلك جزء

كبير من طاقتك الإنسانية في محاولة إعادة التوازن بدل ما تدور على البُعد التالت.

وزي ما الحياة مش سخية إنها تدينا البُعد التالت، البُعد التالت نفسه أليط في روحه لدرجة إنه مبيكشفش نفسه غير للباحثين الجادين عليه، لأن للأسف بقى نفسنا قصير جدًا، وعلاقاتنا الإنسانية بتكتفي بالطفو على السطح، وقليل لمَّا بناخد قرار واعي إن احنا نسيب نفسنا للدوامة النهرية علشان تسحبنا للعمق لأننا ببساطة بنخاف "نعيش".

وعلى قد إنه مش سهل، وعلى قد ما الحياة بتتعافى علينا وبتستقوى بال"قدر" على اللي اتبقى من إرادتنا الحُرة في الاختيار، على قد ما هو جميل إنك تفضل تدرب نفسك من وقت للتاني إنك تنكش على البُعد التالت في الحاجات اللي حواليك، في الناس، في ألبوم الصور، فتش على الصور الدافية اللي مخبية حواديت، في أصحابك فتش عن الناس القادرين إنهم يعروا روحهم بلا تجمل ولا تزييف ولا تصنع.

في الكتب اللي بتاخدك من ايدك كده وبتوديك لعوالم تانية تعملك مساج لعقلك ولروحك وتمنحك فرصة الولادة من جديد.

في كادر السينما اللي هو اخترع البُعد التالت أصلًا علشان يضفي عليك انت متعة ثلاثية القوة، إلعب بيه كمنجة في دماغك وطلع سيمفونية تشبه العمق اللي يشبه البُعد التالت في روحك.

الحياة على قد ما بتدينا صخب، على قد ما بتزود التحدي إن احنا ندور على البُعد التالت، على العمق ورا كل الأشياء العابرة جدًا

والتفاصيل اللي محدش هيوقف سواق التاكسي اللي سايق ويقوله حاسب هنا يا اسطى بص شوف هناك قفشنا في المعنى اللي ورا الكواليس.

وعلشان احنا كائنات معقدة جدًا لدرجة إننا مش بس عايزين نغلب روحنا بالبحث والتيه والكشف، ابسلوتلي، علشان احنا عايزين نعيش الحياة لأخر شدة في الأستك.

علشان احنا عايزين ناخد الصور ذات الكادرات الثابتة جدًا تبقى ممتلئة بـ"الحياة" جدًا، لأن ده بيصهر وجودنا ذاته وبيصيغ ملامحنا الإنسانية علشان نفضل متأكدين إننا لسه بنتنفس وعلى قيد الحياة والكادر لسه متقفلش.

***

الكدب مالوش رجلين... إيه ده... ده بيمشي؟!

ماذا لو الحدوتة طلعت ملتوتة علشان الأميرة لمَّا قررت تبوس الضفدع في نهاية الحدوتة فضل برضه ضفدع ومتحولش بقى الأمير الساحر؟

يا ترى الأميرة هتفضل تحب الضفدع ويا ترى حدوتتهم هيبقى شكلها إيه!!

لمَّا بنفتح كتاب الحواديت بنلاقي سلسلة من الكدب "الجميل" اللي بنحب نعيشه كأطفال لسه عيونهم مليانة دهشة وقدرة على تصديق كل حرف يتحكيلهم، ولسه عندهم مساحات في كراسة الخيال في عقلهم قادرة تتملي بحياة تشبه بر ائتهم.

لمَّا بنقرا من كتاب الحواديت بندور على زلعة الدهب اللي مستنيانا في آخر قوس قزح المرسوم بامتداد الحلم والدهشة والطفولة.

ولمَّا بنكبر شوية وبنخش المدرسة بيعلمونا إن اللي بيكدب بيروح النار، مع إنهم بيكدبوا برضه لمَّا بيعاقبونا بخلق خوف جو انا من "أوضة الفيران" ومش عارفين إننا اتصالحنا مع خوفنا من زمان والفيران بقت صوحابنا من أيام توم وجيري، مش عارفين إننا عارفين إنهم بيكدبوا واحنا سايبنهم يصدقوا كدبهم.

لمَّا بنكبر أكتر بترن في ودننا جملة "الكدب مالوش رجلين" فلازم يتبادر لذهنك صورة راجل يا عيني مالوش رجلين، طب ما ساعتها

المفروض نساعده ونقف جنبه، يبقى لازم نكدب بقى.

طب ماذا لو الكدب فعلًا مالوش رجلين لكن ليه أجنحة؟ لوبصينا شوية في حياتنا هنلاقي جناحات الكدب محاوطانا في حتت كتير.

المَرة اللي بتقول فيها للي بتحبها إنها أجمل بنت في الدنيا كلها، في حين إن الشبورة على نضارتك مش جايبة نور العمود اللي على مترين من مطرح ما انتو واقفين تحبوا.

المَرة اللي كدبنا فيها علشان يتلغي خصم المرتب واستدعينا أكثر الأعذار درامية لاستدرار الدموع، ونجحت كدبتنا.

المَرة اللي ردمنا فيها على فلوس الدروس أو المذكرات علشان نتجنب تسفيه رأينا واختياراتنا لو قولنا إننا هنحضر بالفلوس حفلة مزيكا.

المَرة اللي وعدنا اللي مروا بينا في قطر الحياة إننا هنموت سوا واللي حصل إن محطتهم جت بدري وفضلنا احنا نشاورلهم من بعيد وكدبتنا كانت مسبوكة لدرجة إنها موجعتش اللي نزلوا من القطر على قد ما وجعت اللي لسه عايش وبيتعذب بكدبته لأنه مش قادر يحصلهم.

ولمَّا بنكبر أكتر وبنط بره كتاب الحواديت، الحياة بتعلمنا أبجديتها وبتفرض علينا الجملة الأبدية "أنا لا أكذب ولكني أتجمل" لمَّا قالها أحمد ذكي في فيلمه اللي بيحمل نفس العنوان كان عايز يدافع عن حقه في خلق فقاعة من الحياة يقدريوهم نفسه بتحقيق انتصار غير مؤذي لأي حد لمجرد إنه مقامش الصبح ولقى حبوب

الشجاعة اللي هتضمنله إنه هيقدر يواجه المجتمع بحقيقته.

كلنا يا عزيزي بنكدب، على اختلاف لون الكدب من الأبيض للأسود الغطيس، وعلى اختلاف حجمه من السمول للكومبو السبايسي.

كلنا في لحظة هشاشة إنسانية بنخشى التعري لمواجهة الحقيقة اللي مش شرط تكون حلوة، ومش قادرة أحط إيدي ليه مصرين دايمًا نعرف الحقيقة مع إنها بتوجع ومش بتريح!!

كلنا زي ما بنعمل فوتوشوب لصورنا علشان نداري ديفوهات ملامحنا، بنعمل بشكل موازي فوتوشوب لحياتنا في محاولة مننا إننا نوصل لشكل الحياة المثالي اللي بنحلم بيه.

كلنا بنكدب علشان نتماهى مع مجتمع هو بدوره بيكدب على روحه و أفراده، وبنكدب على روحنا اللي عندها شبق للكمال.

بيعلمونا في المدرسة أنَّ الصدق منجاة (ويا ريت بلاش تقراها منجة)، الصدق يمكن هيكون هو المسار الأصعب اللي لازم تقرر في لحظة إنك تسلكه مهما كان حجم المخاطرة.

الصدق هيكون هو مساحة الحوار الصافي اللي جوه منك، اللي قادر يميز الخط الفاصل بين كدب لذيذ و انتصار سريع وبين حقيقة صادمة في معظم الأحوال وحدوتة مش شرط تطلع حلوة لأنها في الغالب ملتوتة.

الصدق يمكن يكون الاختيار الأصعب، لكنه هيفضل الاختيار الأكثر نضجًا وتسوية ليك على نار هادية.

لمَّا بنكدب بنفضل خايفين ومركبين عيون في راسنا من ورا بتحاول تكدب كدبات تانية علشان تداري بيها على آثار خطاوينا في الكدبة الأولانية.

ولمَّا بنكون صادقين مع روحنا بنجيب خوفنا تثبيت أكتاف لإننا بنوصل لمرحلة إننا بنبص للحقيقة اللي مش لازم تكون حلوة، لكن بنبص ليها بثبات وبطريقة مباشرة في عنيها وبنقول:

"أنا كبرت كفاية إني أتعامل معاكي زي ما أنتي ومش محتاج أعمل فوتوشوب، لإننا ببساطة خرجنا من كتاب الحواديت".

والبطل الوحيد للحدوتة الباقية هو أنت ومساحة الصدق اللي جواك، اللي بتخلي منك ومن مشوارك في الدنيا حدوتة إنسانية حقيقية تستحق تتشاف.

إحنا بنكدب علشان بنخاف نواجه اللي في يوم هنضطر نواجهه وفق التوقيت المحلي للحياة والو اقع، هنضطر نواجهه دلوقتي أو محطتين قدام.

ولمَّا بنقرر نكون صادقين بنفتش على حبوب الشجاعة المستخبية جوه روحنا وبنقرر نخوض معاركنا بدري، واللي مكنتش بر انا هي كانت معركة جوه روحنا.

إحنا قادرين نواجه حياتنا من غير فوتوشوب ونتحمل "قدرنا" الغير مكتمل، ولا مصرين نلف في فقاعات مسيرها في يوم هتفرقع من الكدب.

الاختيار ليك.

***

اللي يحب النبي يزق!

القفز هو حالة بياخد فيها جسم الإنسان الانتقال من الوضع الثابت لوضع أقرب للتحليق في الفضاء وحتى لو لمدة ثواني ثم الاستجابة لقانون الجاذبية الأرضية والعودة مَرة تانية لوضع الثبات. وده التعريف الرياضي جدًا لفعل "اقفز"

في الحياة، كام حد فينا بيجرب فعل القفز، الانتقال من الحالات الساكنة جدًا، الصامتة جدًا، الخاوية جدًا من المعنى بعد ما لحظات الدهشة الأُولى اتكسرت.

كام حد فينا بيجرب يمشي لغاية الحافة وبيشرب اللي اتبقى من حبوب الشجاعة عنده في روحه وبالرغم من وقوفه على الحافة وهلاوس السقوط المدوية اللي بتحتل مقدمة راسه بيتغلب عليها وبيقفز، وبيسيب روحه تجرب إحساس التحليق حتى لو تلاه السقوط.

زمان لمَّا كنا بندرس إدارة التغيير كان دايمًا فيه عبارة بتقول إن الحياة الحقيقية بتبتدي على حافة الكمفرت زون، والحقيقة إن موضوع الكمفرت زون ده كان موضوع مُسلي جدًا.

المنطقة الدافية دي اللي تشبه السرير بتاعك في بيت مامتك اللي لمَّا بتسافر وبتتغرب وبتقابل ناس وترتاح ويا ناس عن ناس بترجع تحن لنفس السرير، بترجع تحن لنفس المساحة الدافية.

هل هو علشان السرير كان دافي أوي يعني، ولَّا علشان التفاصيل الدافية اللي انت رسمتها للسرير ده وأضفت عليها هالة الدفء.

الحقيقة موضوع الكمفرت زون كان مريح جدًا لتفسير كتير من سلوكيات أفراد الفريق في الشغل.

وكانت دايمًا النصيحة اقفزوا من الكمفرت زونز الوهمية اللي صنعتوها لنفسكم وروحوا على الحيااااااة على منطقة الـ(Energy Zones) واللي هي عادة بتبقى عكس الكمفرت زون.

وبعد تأمل شوية اتضح إن مش كل الناس تقدر تعمل كده، مش كل الناس بتقدر تدوس على زرار "اقفز" وهووووووووب تلاقيها بتتحنجل بمنتهى السلاسة بين المنطقتين سواء الكمفرت أو الإنرجي.

وخلينا نكون أكثر و اقعية مش كل الدو اير اللي بره الكمفرت زون هي دو اير بالقطع فيها حياة مليانة إنرجي، لكن اللي أكيد إن فيها مساحة للدهشة تستحق القفز علشانها، علشان تعيد تنوير الشريط في كادر السينما.

لمَّا ابتدينا نعدل طريقة تكبيرنا للفريق، لازم تجهز فريقك بالمهارت إنه "ينط"، ومينفعش تفضل و اقف في قفاه وعمال تزغزغ ودنه وتقوله نط... نط. ما تتنيل على عين اللي خلفوك و اتنيل ونط يا أخي قرفتنا.

جزء كبير من فعل الـ"قفز" بيجي من إرادة البني آدم نفسه، اللحظة اللي بياخد فيها قرار واضح صحيح مع نفسه إنه يقفز في دو اير أبعد من الدايرة اللي تشبه روحه.

الإرادة دي بتتشكل بحاجتين إما إنه يكون هو عنده رغبة إنه يعيش الحياة لغاية آخر نقطة في الكاس بتاعها، وساعتها رغبته في الحياة والتحليق هي اللي هتخليه يقفز حتى لو كانت قفز اته في اتجاه

السقوط لكنه ساعتها السقوط بالنسبة ليه أهون ميت مَرة من البقاء محلك سر في نفس الحافة، وأهون ميت مَرة من مشاهدة العالَم كله بجماده بكائناته بذراته بتتحرك من حواليه وهو لسه واقف على الحافة.

أو بالرغبة في الموت، أينعم رغبة الإنسان في الموت البعض بيفتكرها إنها رغبة اللا فعل أو اللا رغبة بمعنى أصح، ممكن جدًا وصولك للنقطة دي معناها إنك برضه هتقفز حتى لو كان الدافع إنك أيوة أنا عايز اسقط، أيوة أنا عايزة اقع، أيوة أنا عايز انتهي من حالة الوقوف على الحافة.

وعلى الرغم من إن القفزة كانت بنية الموت وبنكهتها، لكن وهو في طريقه متسارع لأسفل هتنتصر رغبته في الحياة، وهيقاوم فعل الجاذبية الأرضية وهيفضل يشلت بإيديه ورجليه ويقاوم ويصارع علشان هيكتشف في روحه ذرة مستخبية اسمها حُب الحياة اللي بتنتصر على أي رغبة تانية حتي اختيارنا للموت في لحظة ما.

اللي اتعلمته من القفزبين مساحات الكمفرت والإنرجي والتحليق والسقوط والاستجابة للجاذبية الأرضية والموت والحياة إن الرغبة في الحياة هتنتصر في النهاية.

طال الزمن أو قِصر وقوفك على الحافة هيجبرك إنك تقفز، إما بإرادة منك إنك تنتصر لحياتك، وإما في لحظة ضعف إنك تقرر إنك تنهيها علشان تضع حد للوقوف على الحافة، وساعتها برضه الرغبة في البقاء والحياة هينتصر.

انتصروا للحياة، انتصروا للرغبة في القفز من على الحافة،

انتصروا للرغبة في الخروج من دو اير وهمية اسمها الكمفرت زون، وحتى كمان الإنرجي زون.

انتصروا للغربة في الحياة بدون دو اير مغلقة، ازاي تقفلوها وهي معمولة براااح ليكم، حتى لو كنتوا و اقفين على الحافة.

هي براااح وعمرها ما هتبقى دايرة مغلقة، سواء حطيتوا عليها يافطة الكمفرت زون أو الإنرجي زون.

هتفضل الدكانة عليها يافطة معمولة بالنيون بألوان قوس قزح واسمه "دكانة الحياة".

اشتروا منها حلويات، بالونات، أدوية ترجيع علشان القفز وكده، أو حتى براشوتات من الناس والخبرات والتراكمات اللي تقدر تخلي هبوطكم بعد القفز ممكن جدًا يكون هبوط آمن، اشتروا منها الضمانات اللي تريحكم.

بس اشتروا من الدكانة، وخلوها دايمًا مفتوحة.

دكانة الحياة.

***

"... بس النور في نهاية النفق"

زي ما بيعملوا تحذير على علب السجاير "التدخين ضار بالصحة ويسبب الوفاة" نفسي يبتدوا حملة لتدشين مجموعة من الجمل اللي من وجهة نظري الشخصية جدًا ضارة بالدماغ وتسبب الشلل الإنساني وأولهم الجملة دي.

الجملة اللي بتحسها عاملة زي مخرج أي فيلم عربي عامل زوم على الأحداث اللي عمالة تتلعبك مع بعضها زي سلك سماعة التليفون القديم، وبعدين هووووووووب فجاة كل حاجة هتبقى حلوة وجميلة والبطل يتجوز البطلة بعد طبعًا ما يقضوا على الشرير ويضربوه في نن عينه... بيوبيوبيو.

اللي بيقطعني إن اللي بيقول الجملة و اقف جنبك في نفس ذات النفق بحذافيره لا شلوت زيادة ولا لوكمية أُقل، وبعدين تلاقيه سرح منك كده في الضلمة وقالك لا بس أنا شايف "نور" هنا!!!!!!!!!!اك.

طيب بغض النظر هو باصص في انهي ناحية، وبغض النظر عن إن النور مكانه القلوب (وش مدحت صالح وهو متشحتف في الأغنية).

وبغض النظر عن إن دي مش طريقة تفكير علمية أصلًا علشان تخرج بيها من أي مشكلة.

ما انت لو هتفكر بطريقة مختلفة هتقول يا تديني مؤشرات واضحة ملموسة دلوقتي واحنا في النفق إن فيه "نور" يا إما خلينا نقول إن الاحتمالية في أحسن الأحوال المثالية جدًا إن ماتش

النور مقابل الضلمة ينتهي بنسبة 50% لصالح كل واحد فيهم مع شخروميت احتمال تاني إن الضلمة تجيب النور تثبيت أكتاف وكده.

دي مش محاولة لإحباط ولا لتثبيط همم ولا تكسير مجاديف، بس أنا بحاول أغير تفكيري، أفككه علشان يرجع يتركب بشكل و اقعي شوية.

الو اقع بيقول لو انت فعلًا في نفق وضلمة وعمال تحسس وتعتذر (دكتور رأفت في الساونا) في الأول فكرة الوقوف في الضلمة هترعبك وهتملى دماغك هلاوس عن الأخطار المحدقة بيك من كل ناحية مع استدعاء بسرعة الضوء لكل أساطير أبو رِجل مسلوخة بتاعت الطفولة.

هل الضلمة مش مرعبة؟... لا.

هل النفق مالوش آخر... معرفش.

بس اللي متاكدة منه إن الواحد بدل ما يستهلك طاقته في انتظار "نور" مش عارفة من أنهي دكانة بتشتروا اليقين دوت بيبتدي يقوي دفاعاته النفسية والعقلية علشان لمَّا ينتقل من وضع سيء لوضع أسوأ يبقى على الأقل مستعد.

ووفر على نفسه انتظار ما لا يجيء، أو خيبة أمل راكبة جمل علشان سقف التوقعات اللي اتشعلق في لمبة "النور" اللي علقوها في آخر النفق.

برضه ده مش إحباط، دي زقة علشان لمَّا بتبتدي تستعد إنك في مرحلة سيئة واللي جاي ممكن يبقي %^&*#$%... ده بيديك قوة أكبر علشان انت أصلًا عندك غريزة البقاء، وهتعرف تستقوى حتى و انت

و اقف جوه النفق ولسه لا بينلها "ضلمة" ولا "نور".

على فكرة اللي بقوله احتمال يكون غلط أو صح، ضلمة أو نور، بس هو مجرد وجهة نظر.

***

متولي جاد الحق عويس شبرا. 2019

الراجل المحافظ أبو جلابية وتحتيها صديري أكيد مقلم بالعرض ومدخله جوه الكلسون علشان الشتا داخل ومبيحبش يستهوى، الأب الخنيق على بناته صاحب العَشرة ساغ المشهورة اللي اتحولت كل ما بنلاقي حد باصص ومركز على الأرض أوي بنقوله إيه لقيت العشرة ساغ.

صاحب أكتر ملامح جادة تخليك تتقلب على ضهرك من الضحك وهو بيسأل بتركيز شديد قال هيفهم يعني مين شاااافيق يا راجل، اللي خلاني أحب المنديل المحلاوي الكبير ده واللي أنا كنت فاكراه رومانسي وبتاع قال علشان نعمل بيه باي واحنا مسافرين في المحطة (جديمة انا طول عمري).

صاحب النظرة اللي تحسسك إنه فاهم كل حاجة مع إنه مش فاهم أي حاجة وكل الأبطال حواليه نطوا من الشباك وهو قعد يتفرج عليهم وهُمَ بيعملوا بولولوم.

الشخصية الأكثر إضحاكًا ليا في المسرحية وفي الحياة، الرائع جدًا (حسن عابدين).

طول عمري و أنا شايفة إن مصر هي "عش مجانين وأي حد هيحاول إنه ينفي أو ينكر أو يرش شوية فتافيت سكر على المشهد مش هينفع، البطل المفروض في المسرحية على حسب ترتيب الافيش هو (محمد نجم).

واللي للدهشة والعجب والبهجة وشوية حاجات فوق بعضيها اضطر إنه يتقمص حوالي أربع أوتلات شخصيات مش فاكرة، الغريب إنه كان بيحاول يقنعنا إنه مختلف ويحط التاتش بتاعه في حين احنا عايزينه يلخص علشان نسمع الكام إفيه ونضحك وخلاص.

مهارة 1

خليني أترجم حبي الكبير لمتولي جاد الحق عويس شبرا، و أتخيل إنه زارنا في 2019 وشايل ع قلبه شوية مهارات كده علشان نعيش في عش المجانين.

أي مكان على الخريطة بيفتقد للحس المنطقي في الأداء. أو الأحداث أو المعطيات، متوجعش راسك في التحليل وتخرم سقف الأوضة بحلقة في محاولة عبثية لإيجاد حلول.

يا عم زقطط، حلو إنك تعترف إنها "عش المجانين"، شفت سهلة ازاي، فتح عينك بقى وقول هيييييييييه.

مهارة 2

اتعامل مع كل الأحداث اللي عمالة تعيد بعضها وكأن كاتب السيناريو أصابه بلوك عقلي فمبقاش قادر يبتكر مشاهد جديدة كأنك بتتعامل مع محمد نجم، هيفضل يكرر نفسه لغاية ما يتحرق، مهارتك إيه بقى يا اسطى، كل المشاهد المكررة هتفضل من كتر ابتذالها تاكل نفسها وتتحرق وتتلاشى ذاتيًا.

مهارة 3

مش لازم تفهم كل حاجة في أي حاجة في كل وقت، ومش لازم

تقول رأيك أصلًا.

كم هو جميل أن تستيقظ كل يوم الصبح و انت رابط المنديل المحلاوي على راسك وحاسس إن فاضلك قرعة وتبقى متولي جاد الحق عويس شبرا.

مهارة 4

من الجيد إنك تحط عشرة ساغ من حين لأخر على الأرض، العشرة ساغ دي ممكن تكون تحويشة عمرك من الحاجات الصغنتتة اللي انت عارف إنها بتعمل حالة خدر أو بهجة أو فصلان عن الو اقع هبابة كده علشان تلقط نفسك وتستعيد قدرتك على الجري مَرة تانية، متستقلش بالعَشرة ساغ دي بتعمل معجزات.

مهارة 5

إقنع نفسك و انت على الخشبة بتاعت المسرح هتقابل ناس بتضحك ضحك هستيري، وكمان بتعيط وبتصوت صويت هستيري، مش لازم تبقى تبع حد، ولا مع حد، ولا على حد.

تذكر عزيزي اللي بتحاول تبقى، إنك متولي جاد الحق عويس شبرا، لا بيضحك بصوت عالي ولا بيعيط، دماغه زلطة شكلًا وملامحه زلطة انفعالًا، وردود فعله زلطة يعني مفيش كلام.

مهارة 6

أوقات كتير هتتكعبل في المعالج النفسي، وماله يا اخويا ما يضرش (وش الداكتور شديد)، إوعى تفتكر إن حلول المشكلات والمجعلصات هي نفسية... أبسلوتلي يا عزيزي، فكر نفسك بمهارة

نمرة واحد انت في عش المجانين فكلنا هنقابل مجانين بس بدرجات مختلفة.

تبت في المنديل كويس إوعى يضيع منك لغاية ما تنزل الستارة.

ودي كانت أول مهارات يا ولاد النهاردة، المانيوال مفتوح وبنتلقى خبر اتكم (وش فريال صالح في اخترنالك)، وتحية مخصوصة لمتولي جاد الحق عويس شبرا، والقرعة، والمنديل، وبوللولللللوم، و أنا، و انت، واللي بيحبنا ميضربش ناريوزع فلوس.

***

وركبنا حصان الخيال... درجن. درجن... درجن!!

حسن يوسف في فيلم للرجال فقط قدم لينا أول تصور دمه خفيف عن الهلوسة، واللي كانت نتيجة عن الكبت الجنسي اللي عاشه مهندس في الصحرا مبيشوفش جنس واحدة ست، فابتدى عقله يحاول يسرسب الكبت اللي عنده ده في شكل تهيؤات إن فيه ستات في الصحرا.

والفيلم ذو الطابع الكوميدي موقفش عند تقديم حالة التهيؤات أو الهلوسة، لكنه كمان اتبرع مشكوراً باقتراح إن اللي بتنتابه الحالة دي علاجه إن حد يكب على صاحب الهلوسة أو التهيؤات كباية مية سقعة فيرجع أخينا بابتسامة لطيفة ظريفة (ومننساش إن علم النفس انتحر من المعالجة الكوميدية دي).

على قد ما الفيلم حاول يقدم وصف كوميدي لحالة الهلوسة، على قد ما برضه نجح إنه يشاور على سؤال يمكن مبنقدرش نقوله بشكل مباشر: لو انت عندك كبت ومش لازم يكون جنسي ممكن فكرة مردوم عليها التراب جوه عقلك يا ترى ممكن تجيلك تهيؤات أو هلوسة؟

طب يعني إيه هلوسة وهل هي حاجة حلوة ولا من اسمها كده تحس انك خلاص هتلبس القميص بالمقلوب؟!!

واحنا صغيرين كبرنا على حدوتة "أليس في بلاد العجائب" اللي كانت أليس البنت صاحبة الخيال الواسع جدًا واللي بتهرب جواه لحواديت بتخرجها من حياتها المملة، كانت بتقابل مغامرات

وشخصيات شقية جدًا بتملاها بالحياة والشقاوة اللي كانت مفتقداها في حياتها العادية.

في نفس الوقت حدوتة "أليس في بلاد العجائب" كانت أكتر حاجة بتميزها هي الخيالات الكتيرة عن الحاجات اللي بتصغر عن حجمها أو بتكبر أو عن ورق الكوتشينة اللي بيتكلم ويرد على أسئلة أليس الشقية جدًا في مطاردتها للأرنب السحري.

الحدوتة اللي مكنتش ملتوتة وكانت مصدر سعادة لينا في طفولتنا هي أبسط تجسيد للهلوسة اللذيذة المبتكرة.

مش حاجة وحشة إنك تمتلك من الخيال فقاعات تقدر تنط فيها ولو بشكل مؤقت علشان تقدر تحقق جوه الفقاعة بتاعتك انتصار خيالي، مش حاجة وحشة إنك يبقى عندك القدرة الهايلة إنك تتخيل الأشياء الجامدة جدًا وكأنك بتديهم قبلة الحياة وبتشدهم معاك في سلسلة من الحوارات علشان تلاقي إجابات لكل الأسئلة اللي بتنكش دماغك.

مش حاجة وحشة برضه إن شوية "هلوسة" بتساعدك انك تلاقي البراح اللي تقدر تسيب عقلك اللا واعي يتحرك فيه بحرية من غير فلاتر ومن غير ما تتكتف بقميص العاقلين اللي مكتوب على التيكت بتاعه "عيب متقولش وغلط متسألش و انت اتجننت قاعد تكلم المخدات".

تقدر تتخيل معايا اللي كتب حواديت أليس في بلاد العجائب يا ترى كام نوبة هلوسة مرت بيه وخليته يطارد أرنب بيتكلم لمدة كام سنة!! والأهم من ده إنه لقى ف أليس والأرنب ونوبة هلوسته مساحة

للإبداع مكنش هيوصلها لو فضل قاعد يحتسي الشاي في الشرفة مع الأصدقاء.

احتياجنا للخيال ولمساحة الـ"هلوسة" وإعادة إخراج حياتنا في كادرات تبدو أكثر حيوية وامتلاء هو مش بس احتياج طفولي لكنه احتياج إنساني بيكبر معاك وبيلح عليك كل ما بتضيق عليك مساحة انك تعبر فيها عن دماغك من غير ما حد يزقلك بوصف أو وصم.

الهلوسة اللذيذة اللي ممكن تخلق منك كاتب حواديت مبدع مش تهيؤات حسن يوسف هي هلوسة مطلوبة أوقات.

إحنا محتاجين الهلوسة؟ آه يمكن محتاجين مساحة "نهلوس" فيها ونكتب على بابها هنا ترقد الهلوسة، ادخل برجلك اليمين وسيب وعيك على الدواسة.

وبالمناسبة حالة الهلوسة أول ما ابتدى الناس يحطوها في الكتب مكنتش تحت كلمة الهلوسة، في القرن السادس عشر كانوا بيقولوا عليها "العقل المتجول أو الرحّال" لأنهم كانوا بيعتقدوا إن العقل زي الحصان في البراري محتاج ينطلق، وكل ما تحط في وشه حواجز وتلجمه كل ما بيخليه يبان إنه حصان مروض لكنه في الحقيقة بيفقد جماله الأصيل إنه بري ومتجول ورحّال، وبيبقى في ترويضه واستكانته أقرب لحصان الحناطير البائس.

إحنا محتاجين "نهلوس"!! آه، يمكن لأننا كبار وبنخاف نقول اللي بيجي في دماغنا بشكل مباشر وواعي فأوقات بنط وبنلبس جلابية الجنون علشان نرفع من على روحنا الحرج، ويمكن لأن الهلوسة بتخلينا نزور عوالم (لأ مش عالمة يعني رقاصة دنيا تانية يعني)

مكناش هنقدر نروحها لو كنا رابطين الحزام على عقلنا ولجمناه بالخطوة البطيئة للحناطير.

يمكن العقل بيحتاج يتمرد، أو بيحتاج يتمدد، وينط بره القالب اللي اتعود عليه آه وخصوصًا لو كان العقل طبيعته كده، خلقته كده، تركيبته كده، زي ما قال نجيب الريحاني.

احتياج العقل إنه يخطي الحواجز المرئية أو المسموعة مش شيء سيء في مجمله، لأن لو قربنا من حياة كتير من المشاهير في المزيكا والسينما وحتى الفيزياء هتلاقي إن القاسم المشترك من حياتهم هو نوبات الهلوسة اللي كانوا بيشوفوا فيها حاجات غيرهم مكنش قادر يشوفها ولا يحسها، بس هُمَ قدروا يحولوا كل العالَم اللي لوحدهم حصان خيالهم وداهم ليه قدروا يحطوه على الورق ويترجموه لإبداع في الفن والأدب والعلم.

يعني احنا بنزقك دلوقتي انك "تهلوس"؟ أكيد لأ، وأكيد مش عايزينك تبقى زي ستيف جوبز اللي على الرغم من عقليته الجبارة إلَّا إن هوسه بفكرة الهلوسة والإنجاز اللي بيحصله لمَّا بيخطفه حصانه وتاخده الريح في نوبة الهلوسة خليته يوصل لمرحلة إنه بيسعى للهلوسة بشكل متعمد.

وأكيد برضه مش قصدي إنك تستسلم لنوبة الهلوسة اللي بتخليك تشوف نفسك سبع رجالة ف بعض وأنت مش كده وإلَّا هتبقى زي دكتور خشبة اللي أقنع المريض بتاعه إن ممكن "يهلوس" ويردد إنه مش قصير قزعة وبكده هيصحى الصبح ويلاقي نفسه طويل وأهبل.

يمكن فيه حد فاصل بين الخيال والهلوسة، وبين الإبداع والهلوسة من ناحية تانية، وبين الهلوسة والهروب من الو اقع.

لكن قبل ما نفصل ونرسم حدود وهمية بين قدرات العقل اللي مش بيبطل يدهشنا بقدراته وأسراره والمناطق البكر اللي لسه محدش مسها في عقلك ومستنية لحظة إلهام، هيفضل التحدي إنك فعلًا محتاج من فترة للتانية تنتابك حالة من الهلوسة اللذيذة جدًا والمقبولة في بعض الأوقات وتسيب نفسك ليها، ويمكن تكون من المحظوظين لو قدرت في نوبة هلوستك حصانك ياخدك لإبداع توصل فيه لأورجازم حياتك وتبدع.

لمَّا تنتابك حالة الهلوسة سيب حصانك يطارد الأرنب السحري في رحلته العجائبية المدهشة بس متنساش تسجل ده.

ولو خفت من رد فعل الناس اللي حواليك، ابقى قولهم أصل أنا عندي تهيؤات واستحمل الطريقة العلاجية بكب كوباية مية سقعة، وحيث إننا في الشتا والموضوع مش محتاج التهور ده بنصحك إنك تقول دايمًا خلو بالكوا أصل أنا عندي شعرة ساعة تروح وساعة تيجي.

هاااااااا

***

عاطف السُكري... الواد يتحب يا رمضان؟!

لمَّا كنا بنتفرج على مسرحية العيال كبرت مع أهالينا غالبًا كنا بنضحك على ضحكهم هُمَ في القعدة العائلية اللطيفة، وكان فيه إيفيهات كتير مكناش بنفهمها بس مش مهم، كنا بنتلم وبنضحك.

كبرنا مع "العيال كبرت" والجميل إن كل الإيفيهات اللي مكناش فاهمينها بقت جزء مهم من تكويننا وكل ما فيه حتة في بازل الدنيا تعصلج معانا كنا بنلاقي ليها إيفيه من "العيال كبرت" وبنجيب أي حاجة وجعانا تثبيت أكتاف بمجرد "إيفيه".

وزي ما الاختبارات على الفيس بوك بتقولك يا ترى انت شخصية مين في الفيلم الفلاني، يا ترى انت كان ممكن تكون مين في كادر "العيال كبرت؟".

– رمضان السُكري: الأب اللي شايف إن علاقته بولاده هي علاقة توفير الفلوس، ومن حقه إنه يلبس البيجامة الحمرا علشان يعوض اللي فاته.

حتى في مشهده لدفع الفدية هي علاقة تفاوض على فلوس مقابل أقل حد ممكن من الخساير، والحقيقة مش عارفة المسرحية قايمة على فكرة إنقاذه واستعادته، بس استعادة إيه تحديدًا فيه لو هو بالصورة دي فمفيش بوينت من المقاوحة علشانه، هياخد لفته وهيرجع في الحلزونة.

– زينب: كريمة مختار اللي اتصبت جوه باترن الأم واكتفت إن

كادراتها السينمائية تبقى بطعم وريحة طشة الملوخية والاكسسوار الوحيد اللي بتغيره في الشخصية هو لون فوطة المطبخ.

زينب شخصية الست المصرية في جزء من حياتها، زينب تشبه أمهاتنا وعلشان كده احنا مهما بنشوفها مقللة من قيمة نفسها إلَّا إننا بنفضل نحبها لأن ده كادر أمهاتنا بشكل أو بآخر، مبنعرفش نزعل منهم بس طول الوقت بنفضل نزغدهم ونقولهم الحياة مش مطبخ وتنفيض شقة وازاي نخرج ونسيب البيت لوحده أحسن يتسرق (الجملة دي نصًا جملة أمي بكل اقتدار).

– سحر: البنت الطايشة الهامشية على حيطة الدنيا واللي مستنية أي فرصة علشان تتشعبط فيها وتثبت إنها ذات قيمة، ومعندهاش أي قدرة انها تميز معادن الناس مين الحقيقي ومين المزيف وعلشان كده أي فرصة بتيجي على بابها بتنط وبتتشعلق في أوكرتها.

سحر الشخصية الهامشية في المسرحية في الإضحاك (غالبا بتبقى عايز تمشي الجزئية بتاعتها) وفي السرد الدرامي ممكن تختفي من الأحداث من غير ما تحس بده.

لكن سحر هو نموذج البنت االلي على الرغم من إن المسرحية صورتها لينا إنها صغيرة في السن، بس في الحياة انت ممكن تقابل "سحر" في أي سن وهتعرفها من فرط السذاجة اللي فيها، واللي مش بتتماشى مع عداد عمرها في الدنيا.

– كمال: نموذج المثقف الحيران لأنه ببساطة مزيف، وهو عارف إنه مزيف وعلشان كده بيحاول يتدارى ورا النضارة علشان

يضيف لنفسه شكل عميق، والشنطة السامسونيت اللي بيروح بيها الجامعة مع إنه لسه طالب وكأنه بيقول للدنيا "خلوا بالكم أنا المعيد القادم".

النموذج ده أنا شفته في الحقيقة كتير جدًا بتلاقيه طالع من الثانوية العامة بمجموع كبير ودخل كلية لا تليق بالمجموع فكأنه بيتشعبط في وجاهة حلم انه يبقى معيد علشان يثبت لنفسه إنه غير فاشل.

النموذج اللي بيبص للناس من طرطوفة نضارته لأنه شايفاهم من وجهة نظره لا يرقوا لمستواه الثقافي، واللي هو قرف منهم ومتأكد إنه فاضي من جوه، وعلشان كده بيبعد عن الناس بحيلة احتقار انهم مش فاهمين.

النموذج اللي مش بيعرف حتى يتكلم وينقل قضيته من غير ما يستخدم مصطلحات مجعلصة وكأنه بيستعرض معرفته اللي هي مش هتودي جمهوره (كانوا اخواته) في حتة.

هو مبيعرفش لغة الهجايص لأنه ببساطة صنع لنفسه عالَم انفصل فيه تمامًا عن العالَم اللي حواليه، واللي هو فعليًا محتاجه.

النموذج ده بيحب يكمل الهالة النورانية اللي حواليه بإنه يشتبك في معارك نضالية، وكل حاجة في حياته هي معركة حتى لو هي معركة "هشة" لغاية ما بيلاقي معركة حقيقية وبدل ما يخشها بكل تواضع بينصب نفسه "زعيم النضال".

النموذج ده بيفضل في انفصاله التام لغاية ما بيلبس جلابية الجماهير البيضا ويبتدي يتكلم هجايص، وده الفعل الوحيد اللي

أخده في المسرحية على فكرة هو اكتفى إنه يوعظ ويحزق على زوره علشان الجماهير تتحرك.

كتبت عنه كتير بس علشان قابلته كتير ولسه بشوفه.

– سلطان السُكري: الصايع الضايع الفلاتي اللي هيشتغل مع أخته وهي بترقص باليه.

سلطان نموذج اللي عارف إن مفيش أي مستقبل مستنيه في الدنيا فبيملى فراغات الوقت بإنه يتظاهر إنه بيتعلم مع إنه برضه عارف إن العلام ده مالوش أي لزمة في الدنيا.

سلطان هو راجل الشارع اللي عارف أصحاب الكباريه والعصابة والبيت وفاهم أقسام البوليس بيتعامل فيها ازاي، وبيعرف الستات وبيعرف يخلي الستات يحسوا انهم ستات.

سلطان هو اللي بيواجه وبياخد موقف وبيروح ياخد بونية في وشه، سلطان هو اللي بيضحي بنفسه في النهاية علشان البيت ميقعش.

سلطان لذاذة طبق الكشري اللي تحبه ويبسطك ومتستغناش عنه وتتمنى تبقى هو في حاجات ومش هو في حاجات بس بتحبه.

– عاطف السكري: أنا بحب عاطف علشان كل حاجة، علشان الوحيد اللي قالولنا في المسرحية إنه "فنان" والفنان معروف بهشاشته الإنسانية.

عاطف الطفولي المبقلظ اللي طموحاته بسيطة جدًا ومش مجعلصة، هو يشبهنا في مرحلة من حياتنا لمَّا كنا متأكدين إننا

هنقابل الفنانين اللي بنحبهم وهيعجبوا بينا وهيتجوزونا (أينعم، أنا كنت كده).

عاطف السكري اللي كل إيفيهاته بتقفل معايا أي حوار بيعصلج في دماغي.

عاطف يعني:

أنا قمت الصبح بالليل.

كل ما أفكر في ستات يطلعوا رجالة.

يخلصك انت يا عاطف... آه يخلصني آه.

يا عم أنا مش مسكين ولا حاجة أنا هتجوز وأعيش على قفا سعاد حسني.

البامية يا حمارة هي اللي بيتحط عليها سكر.

عشرة ساغ إيه... دي مكتوب عليها تمانية.

والجملة اللي بتلخص حالنا في أوقات كتير "الحساسة في البساسة".

عاطف السُكري هو اللي كسر أسطورة المخبرين (وبالنسبالي المخابرات والهالومة بتاعت أدهم صبري والأيام السودة اللي بنعيشها) عاطف لخص كل ده وقالك أنا عامل زي المخبرين بالطو اسود ع اللحم وبورنيطة كبيرة.

عاطف اللي بيمثلنا كلنا وهو قاعد يهز براسه وهو مش فاهم حاجة بس كعضو وفي المجلس لازم يهز دماغه.

عاطف السكري هو الطفولة المعجونة بعفوية، المعجونة بفكرة إن كل حاجة في الدنيا إجابتها ممكن تبقى بسيطة وغير معقدة ودي حلاوتها.

أنا بحب عاطف السُكري، ولو عملت اختبار أي شخصية هبقى فيها في مسرحية العيال كبرت هكون 50% عاطف و40% سلطان و5% كمال و5% احتمال سحر مش أوي يعني.

رغي كتير عن العيال كبرت... لإننا ببساطة بنكبر معاها.

***

خلي بالك من سوسو يا محسن!!

في المسرحية اللي بتقلبنا على ضهرنا من الضحك بالرغم من حِفظنا لكل إيفيهاتها "سُك على بناتك" نموذج البنت النسوية تم تقديمه في "نادية".

البنت الوسطانية اللي مش بتاخد اهتمام كافي من أبوها الأرمل فبتخلق حياة خاصة ليها واللي بتحمل قدر متضخم من السذاجة، مش بس انها بتردد مباديء حنجورية، لكنها من الغشومية انها مع أول تجربة حقيقية ليها على أرض الو اقع بتصطدم بمعطيات الو اقع، وكخروج من حالة الصدمة بترجع تاني تلبس جلابية أي بنت طبيعية مسيرها للجواز، بس نقيف البضاعة (سامح) ونملي عليه شروطنا.

على الناحية التانية كان نموذج "سوسو" اللي حتى الإسم بيوحي إنه كائن تافه متدلع مبيفكرش أبعد من تحت رجليه، لكن في الحقيقة هي النموذج الوحيد اللي قاري اللي حواليه كويس جدًا وقادر يتعامل مع معطيات و اقعه بجرأة وبفتحة صدر، مش بس لأن عمرها صغير ولكن لأن تجربتها في الحياة على قصرها و انفتاحها عليها خلَّتها تقول لروحها "الحاجة اللي أنا عايزاها هوصلها وبطريقتي".

نموذج "سوسو" في المسرحية بيتطور بشكل حلو، بشكل منفتح للحياة بكل مفرداتها بداية من الرقص ومرورًا بالتعامل مع الولاد من غير كلكعة حتى لدرجة إنها بتبقى عارفة مين يكون صديقها ومين تتجوزه ومين تمثل عليه، وازاي تمرر الرسايل اللي في دماغها لأبوها من غير الصدام المباشر وبأقل الخسايرالممكنة.

مش هعرف أتكلم عن نموذج "فوزية" لأن كفاية اسمها يعني يخلينا نطبطب عليها مع كل ضحكة بتطلعها مننا بعفويتها أو بكوميديتها الصارخة.

النقطة الوحيدة في "فوزية" انها بنت الانتظار في محطات لا تجيء بالصورة اللي شايلها في دماغها، فوزية تشبه بنات كتير اتربوا على "اوعوا يا بنات حد يسقيكوا حاجة صفرة" وآمنت بده وطبقته بالمللي، و انطلب منها في لحظة معينة انها تركن كل ده على جنب ولازم تصطاد "حنفي"، ولمَّا برضه انصدمت صدمة تليق بسذاجتها المفرطة وحياتها اللي ضاعت وهي بتتفرج على الدنيا من ورا نضارة أبوها الأكاديمي انصدمت و"رجعت بالنملية".

وقررت في قفزة يسارية انها تلحق تعيش الحياة اللي معشتهاش، والحياة بالنسبة ليها كانت "الانحراف" النقيض التاني اللي بيلجأ ليه البعض اللي حياتهم انسرقت منهم على حين غفلة وقرروا في لحظة يلموها بس من الأطراف كأي ملاية لازم بقى تتطبق من زاوياها الحادة.

وعلى الناحية التانية نماذج الـ"راجل"، واللي اتقدم في أكتر من كادر، حنفي، ودكتور رأفت، وسامح عبشكور، وكريم.

كان بيعجبني نموذج الواد محسن علشان بمفهومنا الحالي روش ومعندوش الكولكيعة إنه يحكي لـ"سوسو" على مغامراته العاطفية من غير ما يحاول يوقعها يعني.

كان بيعجبني ف رقصه وقفزته بره شباك الـ"موقع" لغاية ما الحياة ابتدت تقولنا حتى النموذج ده يبان مليان لكنه فاضي من جواه لدرجة إن كل هدف حياته إنه بس عايز ينط بره أي شباك،

أي فريم، أي خنقة، النط كهدف حتى لو كان النط هيوقعه على العصعوصة.

ونموذج "سامح" أنا عشته وبعيشه وهتنيل اتكعبل بيه تاني قريب نسألكم الصبر والسلوان والعزاء على القهوة، وعلى قد ما بيصعب عليا على قد ما ببقى كل ما بمر عليه في طرقة الكلية ببقى عايزة اقلع اللي ف رجلي واديله على دماغه و اقوله يا ابني فوق محدش ماسك عليك حاجة ولا كاسر عينك بحاجة ومش مضطر تكسر عينك علشان تبقى دكتور، وبعدين تقوم تكسر عين بقى اللي تحتك.

وشخصيًا هقف عند نموذج "كريم"، الشخص اللي بيقابل بنت وبتعجبه، مش بتعجبه علشان هي دي... لأ بتعجبه علشان هو عايزاها، يعني عايزينام معاها، ولأنه مش واضح مع نفسه هو عايز إيه فبيقرر إنه يبقى شبهها، يتكلم نفس كلامها، يدافع عن نفس قضاياها حتى لو هي شخصيًا هتتخلى عن كل ده، بعدين هيعيش معاها حياة مزدوجة ومعندوش أي غضاضة في ده طالما لسه هرموناته بتنقح عليه ولسه موصلش ليها.

نموذج "كريم" المسرحية حاولت تجمله وتقدمه إنه قدم ليها الكلمة السحرية "أنا هتجوزك يا نادية" وكأن نادية كل معركتها انها في الآخر تتجوز وتتستر وعلشان كده مكنش عنده غضاضة برضه إنه يروح لوالدها ويطلبها منه وشايف إنه بيتفضل عليها بالشرف السامي.

العلاقة السحرية الموحية اللي ممكن تنتهي نهاية لطيفة وسعيدة لكل فتفوتة حلم ممكن تداعب خيالك، لكنها بتقعد

تتفشفش مع أول خلاف بينهم واللي غالبًا لو كانوا اتجوزوا كان هيقولها الجملة الشهيرة "انتي هتقعدي تقرفينا بالكلام ليه، انتي مر اتي و انتهينا"، ولو عصلجت شوية ينزل بقى بالتقيلة "أنا بقول ده علشان بحبك".

المسرحية اتقدمت من زمان جدًا يعني، وكل سنة تحديدًا بتتعاد مع الجدول المقرر لبرامج العيد.

جيل "سوسو" بمعطياته هو اللي بقابله دلوقتي، بقابله وبتعلم معاه ازاي الواحد يقرا معطيات الو اقع، ميتفرجش عليه من برج عالي من فوق، والحقيقة انهم بيبهروني أنا شخصيًا لدرجة إني بحس لمًا بقابل بنت في التمانتاشر إن عندي سبعين سنة ضوئية.

جيل "سوسو" بيطور نفسه وبيكسب في كل خطوة وكل مغامرة ومخاطرة بتعملها أرض جديدة ومهياش عايزة تبقى مناضلة ولا حد يعمل زيها، هي ببساطة عايزة تعيش حياتها هي، بمفرداتها هي قبل ما تتحول تبقى "فوزية".

السؤال نموذج "كريم" مش بيتطور لسه، ولاد بأعمار مختلفة بترجع تلعب على التيمة القديمة أنا منفتح، أنا واد خطير وبلبس قطونيل، أنا كينج كونج.

نفس التيمة بنفس الرتابة بنفس الغشومية بنفس المقصد انهم في النهاية بنت عجبتهم وعايزينها.

نموذج "كريم" بكل الامتيازات اللي اتمنحت ليه من ساعة ما اتولد ليه فعليًا مش قادر يطور نفسه ويرسيله على قارة ويكون صريح مع نفسه، ليه لمًا بيشوف بنت من وجهة نظره منفتحة ليه ميجبش

من الاخر ويتحمل الرفض علشان يوفر على نفسه مراحل ووقت ووجهد بنوتة تانية أولى بيه.

ليه بيصر انه يلعب على نفس التيمة كأي ممثل بقى مشهور وخلاص ضمن جمهوره وبالتالي مش محتاج يتعب نفسه ويدور على إيفيه جديد.

نموذج "كريم" بيطرح نفسه في الوقت اللي نموذج "سوسو" بتطور روحها بخطوات أسرع منه، وليها هدف واضح في حياتها "وجوده" هو جزء منها مش كلها.

المسافة بين الاتنين بتوسع لدرجة إن "سوسو" لمَّا بتقابل "كريم" في القرن الواحد والعشرين بتبقى عارفة من جواها وباصمة بالعَشرة إنه بيكدب، وهي مسألة وقت مش أكتر، وبتسيبه يكدب علشان تشوف الأبديتس بتاع الهارد ويربتاعه وصل لحد فين.

ناس كتير بتعيب على البنت اللي هي "سوسو" وبتقولها انتي عايزة إيه يعني، وأخرتك برضه هترقصي على السلم لا هتبقي تن تن... ولا... تان تان.

وبنفس الصوباع اللي بيحطوه في عين البنت اللي بتحاول ومش بتقف على نقطة واحدة وبتحاول تطور من حياتها وتجربتها، فيه في الإيد تلات صو ابع تانين بيشاوروا عليه هو شخصيًا وبيقولوله و انت كمان على فكرة و اقف على نص السلم ومُصر ترقص رقصة برضه مش على مقاس خطوتك.

مع إنك فعليًا تملك القدر الكافي من الحقوق إنك يا تنط فوق وتعلن ده بدون ضغط شعبي ولا مجتمعي من أي اتجاه، أو برضه

تقرر تنط تحت وبرضه مش خسران لإنك هتلاقي نموذج "فوزية" اللي قضى طول عمره مستني ومراضيته أصلًا سهلة، تذكرة أتوبيس وتمسك إيديها بحنية وتعديها الشارع وكله هيبقى أليسطة.

للو اقفين على نص السلم في كل حاجة، خدوا خطوة لفوق، أو لتحت، أو خدوا خطوة على الجنب وفسحوا بقى علشان الشاشة تفضى والجمهوريعرف يشوف كويس.

متكونوش سامح ولا محسن ولا كريم ولا رأفت ولا فوزية ولا نادية.

بس اقفوا شوية عند "سوسو"... ومخمخوا.

***

حاذي في الصف يا بت يا نبجة!

أنا إني رأيت جماعة.

قولتو السلاموعليكموا، أنا إن... أنا إن... أنا إن...

فاكرين المسرحية دي بتاعت أمين الهنيدي الرائع لمَّا بيطلب من البت نبجة إنها تحاذي في الصف جنب إخواتها... أكيد فاكرينها.

المسرحية كانت قايمة على فكرة بسيطة جدًا، فكرة الراجل البسيط اللي عنده بنات خايف عليهم بس الظروف اضطرته إنه ينزل القاهرة العامرة الغامرة بتفاصيل هو ميعرفهاش.

وصور ليه عقله الفكاهي البسيط إنه لازم يحافظ على البنات في الصف، ولازم البنات تحاذي وخصوصًا البت "نبجة" علشان هي البوكورية (صوت ضحك بكراكيع).

الحقيقة المنطق بتاع أمين الهنيدي في المسرحية مبيختلفش كتير عن المنطق اللي بنكبر عليه. وهو إن كل حاجة بتطلب مننا إننا نحاذي في الصف.

في البيت لو انت مولود في النص زي حالاتي فالمطلوب منك ببساطة جدًا إنك تحاذي في الصف زي إخواتك الكبار.

في المدرسة أول حاجة بيعلموها للولاد الصغيرين إنهم يحاذوا في الصف ويقفوا ورا بعض وكأنهم رايحين في أول يوم مدرسة يقدموا أوراق اعتمادهم في الجهادية العسكرية.

لمَّا بتروح مصلحة حكومية في يوم مبقع علشان تخلص أي ورقة مسيرها تبقى صفرا في بلد متكومة في دولاب صاج بيطلبوا منك برضه إنك تقف في الصف، والغريب إنك بعد ما بتقف في الصف وأخيرًا تحضن الشباك بتكتشف إن دايمًا ورقك ناقص، وتضطر ترجع وتقف في الصف من أول وجديد.

حتى لمَّا بتكبر في وطن مسروق من روحه، كل ما بتحاول تفط... تشب... تحط... تنط... بيرجع يتطلب منك إنك تقف في الصف مع ذكريات التو ابيت والبني آدمين.

بتكبر لدرجة إنك مبقتش الطفل الصغير ولا التلميذ العبيط ولا المواطن المهروس بس بتخرج للدايرة الكبيرة و انت عامل زي البت "نبجة" بتحاذي في الصف.

وبدل ما كنا بنعمل صفوف واحنا مضطرين بقينا احنا بنفسنا نرسم الخط ونوقف عليه صفوف تانية بس مش واخدين بالنا منها.

الصف ممكن يكون حاجة جميلة جدًا لو هيراعي حقوق الناس التانية آخدلي بالك انت ياللي كنت و اقف في كارفور اليوم اللي فات وزنقت عليا بالكتف وأخدت مكاني في الصف.

الصف ممكن يكون حاجة عظيمة جدًا لو احنا في استعراض عسكري ومحتاجين نخبط برجلينا الشمال علشان نرهب العدو.

الصف هيبقى شيء بديع أوي لو احنا بنلعب باليه مائي مثلًا (أيون اللي بيحطوا مشبك في مراخيرهم سمعاااك على فكرة) ومضطرين إن احنا نتناغم بحركة جسمنا مش بس مع المية لا كمان مع بقية اللي و اقفين معانا في الصف.

كل ده ممكن يكون الصف فيه حاجة هايلة جدًا وبديعة جدًا وحط قبل "جدًا" اللي تحبه.

لكن لمَّا تبقى في رحلتك الخاصة بيك انت مش حد تاني وحد يطلب منك إنك تحاذي وتقف في الصف ده شيء عليه شخروميت علامة استفهام.

زمان كنت بقرا جملة اسمها "طوبى للغرباء".

والحقيقة علشان اعترف أنا معرفش يعني إيه كلمة "طوبى" بس كنت فاكراها يعني طوبة أو زلطة، يعني الغرباء هنحدفهم ونزقلهم بالطوب.

وبعدين لمَّا ابتديت أعود نفسي إني أحس الكلمة علشان ألاقي معناها قولت يمكن "طوبى للغرباء" معناها إن الغريب بيبقى محتاج إيد تطبطب عليه لإنه في غربته بيبقى تايه وحيد هش معندوش خريطة واضحة في اللحظة اللي هو حاطط فيها صوباعه على الخريطة دلوقتي.

الغريب شكلًا أو فكرًا أو إنسانيًا أو ظروفًا، هو الشخص اللي مبيحبش يحاذي ويقف الصف.

هو الشخص اللي بيرتاح لمَّا بيرسم دو ايرمن الناس والاهتمامات وبعدين يقف جواها شوية وبعدين بكامل إرادته يختار أبعد نقطة بره الدايرة علشان يتفرج عليهم من بعيد.

الغريب هو الشخص اللي مش سهل عليه إنه يتماهى بألوان متشهش ألوان روحه فبيفضل يعافر علشان يكتشف البلدة اللي هو عايزها ويمكن يوصل ويمكن ميوصلش.

الغريب هو شخص عارف إنه وحداني بشكل دائم أو مؤقت أو ربما عابر.

في الأول كان خايف من الفكرة، إنه هيطلع بره الصف وهيلاقي نفسه في الهِوكدهو بعيد عن الدفا اللي كان مغطيه.

وشوية بشوية مع أول خطوة وتاني خطوة وبعديها خطوات أوسع بعيد عن الصف هيكتشف إنها مكنتش تخوف أوي كده، الخوف الحقيقي إنه خايف يقعد مع نفسه ليتفاجئ بحاجة ميعرفش يفسرها ولا يسيطر عليها.

طب ومين قال إنه لازم يسيطر، طب ما يسيب روحه تدلدق زي ما هي، ما يخلي إحساسه زي الزئبق صعب إنه يتشكل أو يتحجم أو يتمسك مهما حاولت تطارده بصوباعك.

الغريب هو شخص ناس كتير يمكن بتحب انها تتفرج عليه من بعيد، ويمكن كمان بتحبه في صمت، بس يبيخافوا يقربوا أكتر علشان غرابته بتخليهم دايمًا في حالة ارتباك مش متعودين عليها، بتخليهم خايفين يا ترى الغريب المَرة الجاية هيتنيل على عينه يهبب إيه، هينكش فينا أنهي حتة المرادي.

الغريب اللي موقفش وحاذى في الصف، هو شخص حابب إنه يخوض رحلته في "سفينة نوح" بتاعته.

يمكن علشان سيدنا نوح خلاص مات وقبل ما يموت السفينة بتاعته هو اللي بناها ورسيت على جبل، وخلاص استقروعرف كوعه من بوعه.

يمكن علشان الأسطورة بتقول إن لكل عصر محتاجين "سفينة

نوح" بالشكل المجازي... يمكن برضه.

ويمكن علشان... من غير علشان، هو فقط اختار إنه يطلع بره الصف، ويبطل يحاذي في كتف حد تاني... بس كده.

علشان كده لمَّا تتكعبل بيه في الدنيا ابقى قوله: "طوبى للغرباء"، ابقى طبطب على قلبه، مبيخوفش على فكرة، ولا بيعض، ولا هو أهبل زي البت نبجة في المسرحية.

هو حد ونسان بروحه في النقطة دي على الخريطة بتاعت البني آدمين.

لو حبيته؛ هتتعلم تفتح بوقك دهشة أو ضحك عادي يعني معظم الوقت.

لو سلمت على قلبه من بعيد ومشيت؛ هيفضل نجمة في السما تبعتلك نورها وشقاوتها منين ما تكون.

لو قاومته وحاربته وفضلت تشده معاك في الصف؛ هيفضل يتسرسب من صوابعك زي حتة الزيبق مش هتعرف تمسكها ولا تحجمها وبرضه هتفضل تهرب منها.

حوالينا ناس، ويمكن نكون احنا مش حد تاني، متغربين جوه روحهم، غريبين باختيارهم أو بغير اختيارهم عن اللي حواليهم، كتير من اللي حواليهم شايفين إنهم مجرد البت "نبجة" اللي لازم تحاذي في الصف.

لمَّا تقابلهم متعملش زي أمين الهنيدي وتقولها حاذي يا بت يا نبجة.

من باب التغيير ابقى قولهم "طوبى للغرباء".

بس مش طوبة، طبطبة يا فاكيك.

بس كده.

***

إنتي حوطي روج!!!

محمد صبحي في مسرحية تخاريف كرّهنا في الرووج الأحمر وهو ماسك الصوباع وعمال يلحوس بيه بوقه ومناخيره واللي اتبقى من دقنه.

والروج الأحمر بشكل عام مرتبط عند الغالبية العظمى إنه لون مش حلو وفاقع، ولمَّا حد بيقفشك بيه قبل ما تخرجي بيبقى مصحوب بشهقة إيه قلة الأدب دي.

ولو إني برضه معرفش إيه العلاقة بين لون الروج وبين الأدب اللي الناس قاعدة تتحنجل عليه في الر ايحة وفي الجاية، أحب اقول شوية معلومات سريعة كده عن الروج.

فكرة الروج اتولدت بالسلامة من شغف الشعوب البدائية بتلوين جسمها علشان تبقى مميزة.

وطبعًا التميز ده بيضرب في السقف لمَّا بيمارسوا الطقوس الدينية وهنلاقي في القبائل الأفريقية الر ائعة جدًا في ألوانها إنهم بيتفننوا في الرسم على الجسد وفي التلوين.

ورَجل الدين في القبيلة لاااااااازم يتلون على عين اللي خلفوه علشان يبقى مميز أكتر، ولو ان محدش قالنا لمَّا يحط روج يا ترى صلو اته هتوصل أسرع ولا إيه!!

قدماء المصريين –الله يبشبش الطوبة اللي تحت راسهم– لمَّا لقوا الجو الصحراوي والتراب ابتدوا يطوروا في صناعة الروج

ويضيفوا عليها الزيوت والشمع كمكون أساسي علشان ينقلوا الروج من مرحلة الزينة لمرحلة إنه علاج كمان.

ومما يجدر ذكره إنهم اتطوروا في الصناعة دي لدرجة إنه يقال أن كليوباترا كانت بتعمل أنواع مخصوصة مخلوطة بالسم... فظيعة البت كليو دي... هتموت الجدع مسموم ببوسة... يا لهوي ع الدماغ.

وبالنسبة للون الأحمر اللي تاعب مجانص الناس اللي بيدوروا على اليوتوبيا في الساقطة واللاقطة فنحب نقول إن في عصور الظلام الوسطى من عمر الشقيقة أوربا كان بيعتبر الروج الأحمر هو علامة مميزة للعاهرات والطبقات الدنيا اجتماعيًا، وكسرت القاعدة دي الملكة اليز ابيث الأم لمَّا حطته في محفل عام. ومن ساعتها مبقوش يقولوا كده خالص... عالم كهينة يا جدع.

في أثناء الحرب العالمية التانية علشان كان فيه نقص شديد في الحديد وأدوات التصنيع، عملوا صوباع الروج في صو ابع بلاستيكية وكمان ورق.

أيون، تخيلي عزيزتي البنوتة تروحي للبقال تقوليله والنبي لفلي الصوباع ده ف قرطاس يا عم... يقوم داخل غارف بايده في البرطمان ويطلعلك صوباع وعليه حتة زتونة J

في الستينات كانت الستات اللي مش بتحط روج ومش بتلبس كعب عالي كان بينظر ليهم المجتمع نظرة ريبة وشك وبحلقة وشوية حاجات فوق بعضيها.

الخلاصة فيهم تكونش البت هتقلب على حنفي، عزيزتي بقى اللي عايشة معانا في البكابورت اوسكتي اوسكتي مش احنا كده ممكن

نبقى فعلًا حنفي رسمي نظمي فهمي، بس مش باختيارنا والله.

دعونا نحط روج... دعونا نلبس كعب... ادونا فرصتنا بقى يا كفنة.

فيه معلومات كتير مرتبطة بالروج وازاي الحركات النسوية بتستخدمه علشان توصل رسايل لمجتمعها.

إحنا برضه بنستخدمه علشان نوصل رسايل وكده.

والنبي إيه، قومي امسحي اللي انتي حاطاها في وشك ده يا بت.

خلاصة الرغي ده كله، أنا بحب الروج الأحمر، واللي هيقولك إيه اللي انتي حاطاه ده روصيله المعلومات دي.

ولو فضل عايش على قيد الحياة ومسورقش منك ابقي بوسيه وحطيه جنب الحيطة.

العالَم دي غلابة والله.

والسلام ختام.

الله

الوطن

الحياة وحبها وحُب اللي يحبها

والروج الأحمر.

***

بطلوا تقيفوا شعري على مزاجكم!

فيلم "هذا هو الحُب".

ماري منيب كانت رايحة تخطب لابنها يحيى شاهين بنت الجيران اللي هي لبنى عبد العزيز، وف قعدة الصالون المفتخرة ابتدت تمارس الطقوس الحمواتية في اكتشاف ثروات العروسة المستخبية، وقامت بشد شعر لبنى عبد العزيز العرورة علشان تتأكد إن شعرها حقيقي مش باروكة وطبعًا دلوقتي مش بوستيج ولا خصلات متركبة.

أنا مش هتكلم عن جوازة الصالونات والحموات الفاتنات علشان اللي بياكل على ضرسه بيوجع ضرسه برضه، مالناش فيه ولا في بوقه بس هتكلم عن شد شعر البنت من خلال تجربة قصيرة بين الحجاب وعدمه.

الحقيقة إني لو تخيلت إني قدام بنت نص راسها متغطية والنص التاني بشعرها وهي واقفة على مسرح وفيه جمهور هنلاقي من الجمهور اللي بيبص على شعرها وعنده أفكار مش هنصنفها ولا هنقولها بصوت عالي هنسيبها تتحنجل في دماغنا رايح جاي.

وجزء برضه من الجمهور بيبص على حجابها وبرضه عنده أفكار أخت الأفكار المتحنجلة اللي فوق ممكن تبقى ماشية معاها أنكجيه وممكن تكون ماشية في اتجاه معاكس تمامًا.

البنت اللي بتتولد في مجتمع عنده قدرة غير عادية على فرز الناس بناءً على علامات جسدية أو هدومية بتبقى هي البنت اللي

و اقفة قدامنا على المسرح دلوقتي.

احنا ممكن نقعد نهري ونغلي في الأفكار اللي بتدور في دماغ الجمهور وندي ده بنبونايه والتاني اللي مش هيعجبنا نديه شلوت، بس محدش بيفكر يسمع الصوت اللي جوه دماغ البنت.

البنت اللي نص منها بيكبر إنها بتعمل الحاجة الصح لمَّا بتتحجب.

البنت اللي نص منها بيكون متطمن بفكرة إنها "مستورة" ومتشالة للي يقدرها.

البنت اللي نص منها بيكون شايف إن ده كان تطور طبيعي في اتجاه إني بقرب من ربنا وكل شوية أبص للسما و أقول يا ترى انت راضي عني ولا لسه، وبنفضل في رحلة الجري والرضا لغاية يا نتعب فنقف عند النقطة دي، أو نعيد ترتيب فكرة الجري ذاتها علشان تتحول لمسارات تانية.

البنت اللي ممكن تكون تم إجبارها إنها تلبس الحجاب، الإجبار اللي ممكن جدًا يكون بالعنف وممكن برضه يكون بالحُب.

إنتي شكلك أحلى... الله ينور عليكي... وشك نور... ربنا يهديكي اكتر (مش عارفة اكتر يعني ايه و ايه مؤشراتها يعني).

إنتي كده كبرتي في نظري (طبعًا ده صوت رجالي بيعمل صدى في الخلفية) هي نفس العبارات بنفس القوة، قوة الضرب أو قوة الإجبار أو قوة القهر أو قوة هو كده وهتسمعي الكلام احنا هنتفاوض في كلام ربنا.

مع إن كل كلام ربنا ينفع يتم التفاوض فيه على فكرة بس بنيجي

عند دي وتبقى خلاص قفلت زي الدومنة.

البنت اللي من كتر قبح كل تفاصيل الحياة حواليها قررت إنها ترسم لنفسها دايرة وهمية من الحماية وتقنع روحها إنها لمَّا بتخطي جوه الدايرة دي مش هتبقى مستباحة من الآخرين، مع إنها بأقل مجهود هتعرف إن لو الآخرين بيبذلوا نفس المجهود علشان يتفهموا خوفها من المشي في الشارع عمرهم ما هيتعاملوا معاها إنها مستباحة.

ولو بذلت برضه شوية مجهود هتعرف إن الدوايرالوهمية عمرها ما بتحمينا، أوقات بتخوفنا أكتر لإنها بتحسسنا بالعجز، بالضعف وإننا مش قادرين نقف لوحدينا من غير دوايرنا وهم في مواجهة الغلط والقبح.

البنت اللي قررت تتحجب لأي سبب كان فوق هي لوحدها يخصها سبب حجابها سواء كان بيحمل ليها انتصار إيماني... إنساني... شخصي... أو بيحمل برضه انكسار ايماني... مجتمعي... إنساني... شخصي.

لأي منهما انتصارًا أو انكسار هو يخصها، الفعل "يخصني" متعودناش عليه لإننا اتعودنا إننا نبقى مستباحين، مجرد وجودنا على مسرح الحياة بيدي الحق للآخر العابر على خشبة المسرح إنه يستبيح ويُبيح كل ما هو "خاص" جدًا.

البنت اللي بتتحجب تصدقوا إنها برضه المجتمع بيمارس عليها نفس فعل شد الشعر بتاع ماري منيب في الفيلم اللي قلناه فوق.

أينعم، لإن البنت اللي بتتحجب البعض بيستبيح إنه يشد شعرها

علشان يتأكد إن شعرها حلو وإنها مش لابسة الطرحة علشان تخبي قلة اهتمامها بشعرها مثلًا.

البنت اللي بتتحجب البعض بيبص ليها إنها خدامة، ايوة ودي سمعتها خبط لزق شلوت طاير حاير عابر للقارات علشان بس البنات في الأرياف هُمَ اللي كانوا بيغطوا نص شعرهم وهُمَ رايحين الغيط.

البنت اللي بتتحجب بتتوصم وسط مجتمع الفيمينيست إنها مضحوك عليها وإنها مش فاهمة يا حرام وبكرة نبقى نشتريلها اتنين كيلو حرية علشان تتحرر وتكسر قيودها وتتخلص من سيطرة المجتمع الذكوري وقهره وتنطلق نحو آفاق من الحرية... (اوعى الصاروخ بقى)

البنت اللي بتتحجب بيتشد شعرها لمَّا دايمًا تتوصم إنها مش مهتمية بأنوثتها أو إنها بتستسهل أي حاجة في أي وقت وخلاص.

إيه اللي حصل.

اللي حصل إن البنت اللي قررت إنها تغطي شعرها أو هكذا افتكرت إنها قررت ولو اني صعب جدًا أي حد يقرر في جو شد الشعر ده، ابتدت تعمل ميكانيزمات دفاعية أكتر، زي إنها تشتري طرح غالية جدًا علشان ميتقالش عليها فلاحة.

ابتدت تهتم باكسسوارتها جدًا علشان برضه يبقى الحجاب محرمهاش من جزئية إنها بتحب الزينة.

ابتدت تهتم بلبسها بشكل مبالغ فيه أوقات كتير، وأوقات أكتر كان اللبس مبيمشيش على فكرة الحجاب ذاتها والتغطية وبالتالي كنا بنحس إنها زي لوحة الموزياك من كل حاجة حتة.

البنت ابتدت تهتم بشعرها أكتر، وبلاحظ في الصالون إن المحجبات موجودين لأنهم عايزين يبصوا على شعرهم حتى لو شوية كده قدام المرايا.

ابتدت يبقى ليها تجمعات نسائية جدًا بتتحول فيها الستات لكائنات فضائية لأنهم ببساطة عايزين يروحوا للصورة على أبعد نقطة على الخط علشان يشوفوا نفسهم زي الصور الذهنية الكتير اللي رايحة وجاية قدام عنيهم.

ونذكر على سبيل المثال وليس الحصر الحنة اللي بتسبق أي فرح اتحولت إنها بتبقى عروض نسائية لكل ما تتخيله وما لا تتخيله، لأنها الفرصة اليتيمة اللي بيمنحها المجتمع الحزين إنها تمارس أنوثتها الطاغية الباغية.

طب لو أنا ماليش في الأفورة، طب لو أنا ماليش في الجو الحريمي لإني مش عارفة المفروض بيتجمعوا ليه غير علشان شوية يرقصوا والشوية التانين يسقفوا، طب أنا هبقى فين وسطيهم!!!!

طب لو أنا مليش ارتباط الأنوثة بفعل مواسم، هتلاقوني قاعدة على جنب بتفرج وببتسم ابتسامة إي تي وهو نازل أول مَرة على كوكب الأرض.

النص الأول في شد الشعر... آي وجعتني.

النص التاني، اللي مش محجبة فهي عادة مستباحة إنها تكون الأكثر سهولة وجرأة وتحرر، وبالتالي أوقات ده بيخليها مستباحة أكتر وأوقات لأ.

البنت اللي مش محجبة ابتدى المجتمع يشد شعرها وبتبقى

مستهدفة نمرة واحد في أي سلوك مجتمعي خاطيء هي عادةً بتتحمل الجزء الأولاني من مين هيشيل التهمة.

البنت اللي مش محجبة المجتمع بيشد شعرها علشان يتأكد يا ترى إنتي إيه آخر نقطة ممكن توصليلها في الحرية وفي الجرأة وفي الحياة، مش عارفين إن مفيش حاجة اسمها آخر نقطة لأن حياتنا مش خطوط أتوبيس نمرة 297 اللي ماشي على نفس المحطات بتاعت كل يوم علشان يملى ركاب وينزل ركاب.

حياتنا مش خطوط مستقيمة تتحسب بأول نقطة وننشن على آخر نقطة لغاية ما نقول هيييييييييه النقط خلصت.

هي ممكن جدًا تكون دوا ير، ممكن جدًا تكون فضا وبراح، ونقط متنتورة لسه متوصلتش ببعضها.

البنت اللي بشعرها بتكون أكتر واحدة بيشك في إيمانها ومعتقداتها وبالتالي بتكون أكتر واحدة بتتلقى دعوات على الخط الساخن 0900ربنا يهديكي... يااااااه هو إنتي بتصلي... إنتي كل حاجة فيكي حلوة بس ناقصها حاجة واحدة... (عينان تغرورقان بالدموع مصحوبة بنظرة الى الشعر).

البنت اللي مش محجبة بتكون طبعًا بتعرف أولاد أكتر... أومااااااااااال هي دي فيه حاجة بتقف في طريقها.

المجتمع اللي بيصر إنه يشد شعر البنت علشان يتأكد إنه عيرة ولا حقيقي.

المجتمع اللي بيشد شعر البنت علشان يفكرها بأنوثتها المتدارية تحت الحجاب.

المجتمع اللي بيشد شعر البنت علشان يقولها أصل انتي مستباحة لو انتي بشعرك.

المجتمع اللي بيفضل يشد شعر بناته محجبة أو مش محجبة، مؤدبة أو مش مؤدبة.

محترمة... مش...

زوجة... مش...

متربية... مش...

وبين الشد بتاع كل الصفات والوصم والوشم، وبين الصفات التانية الموجودة على الشاطيء "مش".

بيطلع عندنا بنت علشان تاخد قرار "يخصها" وحط تحت فعل يخصها سبعميت ألف وشخروميت خط بتفضل تتشد بين هنا وبين هناك.

بين بنت و اقفة على المسرح نص بشعرها ونص بحجاب.

بين فكرة هنا وفكرة هناك، بين حياتها في مرحلة وحياتها في مرحلة تانية.

الشد مبيكونش من بره المجتمع، الشد بيكون جوه البنت نفسها لإنها بكل اللي كبرت بيه هي كبرت جوه المجتمع ده، ومحاولتها للخروج عنه أو الانتماء ليه مش لازم تكون مصحوبة بكل شد الشعر ده، لأنه ببساطة حاجة "تخصها".

إفتح الصفحة و اكتب عندك الجملة دي

... يخصني.

واكتبي كل الحاجات اللي انتي شايفة إنها ممكن تملى النقط علشان هي حياة "تخصنا" مش حد تاني.

وبطلوا بقى تشدوا شعري، بطلوا تبقوا ماري منيب، هي كانت بتضحكنا، لكن انتوا كمجتمعات بتخنقونا وبتضيفوا تعاسة مكنتش نقصاكم بصراحة.

***

زوجتك ابنتي البكر!!

في أنهي مرحلة من مراحل دحرجة الكون على زوحليقة دماغ أم دي بشرية تم تفسير كلمة "بكر" إنه مصطلح خاص بالبنات فقط، ومفاده إن عندها حتة من جسدها موجودة يعني ومتشالة ومتصانة لغاية ما ييجي الفارس الهومام و اتدحرج واجري يا رمان.

إزاي تم اختصار معنى "البكارة" في جزء من الجسد وازاي الست نفسها قبلت إنها تخش في "الأسورة" دي بمزاجها وشايفة إن ده تكريم ليها.

إزاي قدروا يقنعوها وهُمَ بيهينوها إن ده تكريم علشان يتأكدوا إنها لَم تمارس الخطيئة بدون مو افقتهم ورضاهم ووجودهم كشهود عيان على الحدث.

إزاي بلغت القدرة بالمجتمعات إنها توصل بيها درجة من الفُجر إنها تحشر مناخيرها في كلوتات أفرادها لمجرد إنهم اتولدوا مش مخيرين فيها.

إزاي معنى البكارة اللي من وجهة نظري الشخصية اللي ملهاش أي لزمة في الجزمة أنا عارفة وسمعاك ياللي بتقولي نقطينا بسوكاتك... ماشي ماشي، إزاي معنى الكلمة نفسه تم التلاعب بيه.

البكر متهيألي هو معنى "أنك لا تعرف كل ما لا تعرف عنه شيء". فانت توصيفك إنك "بكر".

قيس على ده بقى عِلم جديد، مكان جديد، حُب جديد، أكل

جديد، ناس جديدة.

حتى الجنة بتخيلها "بكر"، لأنك لا تملك معرفة عنها بشكل يقيني غير اللي بترسمه من خيالات تخصك انت مش حد تاني.

إزاي معنى البكارة اتدرجح على الزوحليقة ووصل للحتة دي في الجسد ده.

مين أول واحد صاحب السبق –الله يجحمه مطرح ما راح– اللي افتكس الافتكاسة دي، والغريب مش إنه افتكس افتكاسة، الغريب إن الناس نفسهم ابتدوا يتلقفوها ورا بعض يقينًا منهم إنهم بيحموا بناتهم.

بيحموا بناتهم ولَّا بيحموا صورتهم قصاد نفسهم إن استحالة الخطيئة تعدي من قصاد عنينا الَّا بموافقتنا ومباركتنا، وإن الـ"ختم" لازم يكون بمعرفتنا.

من إمتى البشر لازم يكون عليهم "ختم" علشان يكونوا أحسن و أفضل و أنقى.

من إمتى البشر لازم يكون عليهم "علامة" علشان سوقهم وسعرهم يعلى في السوق.

من إمتى البشر لازم يكون فيه بكارة تميزهم غير بكارة روحهم وقدرتهم إنهم يمنحوا الدهشة لكل اللي بيتواصلوا معاهم مش بس جسد، روح وعقل وحياة باكملها، التفاصيل في الحياة اللي دايمًا بتخليك تقول لروحك أنا لسه بكر، أنا لسه عندي شغف إني اعرف و اتعلم واجرب.

من إمتى صحيح حصل الشلوت الهايل ده في البشرية، والناس عادي مبسوطة بيه وبتعبده وفاكرة إن ده تكريم.

من إمتى بقى!!!!!

***

وشم

لمَّا رشدي أباظة في فيلم تمر حنة راح راسم البت تمر حنة على صدره علشان يوثق قصة حبه ليها ولمَّا خانته البت تمر راح جايب زونفل (الممثل اللي مش عارفة اسمه) وراح شال الوشم بمية النار، ومعرفناش هو انكوى من مية النار ولا انكوى من إحساس الغدر والخيانة أكتر.

ساعتها ابتديت اتعلم عن الوشم، عن الحدوتة اللي بتترسم على الجسم.

زي ما بنرسم في البورتريهات والصفحات البيضا، البعض بيشوف إن صفحة جسمه ممكن تكون مساحة لإنه يوصل حدوتة شخصية بيه هو.

الوشم اللي موجود في القرى هو للحسد أو لمنعه بمعنى أصح، الناس بتتوشم علشان مصدقة إنهم قاعدين باصين على بعض وحاسدين بعض فلما تيجي تبصلي بعين ردية يقوم إيه الوشم يكسر شعاع الحسد اللي هيفلق الحجر ده.

وبصراحة أنا لغاية دلوقتي مش قادرة أفهم هي المجتمعات البسيطة دي يا ترى موشومة بالتدين الفطري ولا لسه عايشة في مية الأناناس، ولا هُمَ ملحدين بس مش واخدين بالهم لأنهم في أوقات بيؤمنوا بيه كقوة عليا وخاصة في لحظات البؤس اللي مبتفارقهمش وفي معظم سلوكياتهم مؤمنين بكل حاجة إلَّا هو... ما علينا.

الوشم اللي موجود في المجتمعات الأكثر انفتاحًا مساحةً أو فكرًا بيكون علشان يوصل رسالة "تمرد" على القوانين السلطوية اللي بتتدخل حتى في جسمك وبتشوف إن من حقها شكله يكون إيه، وتقولك انت تعمل فيه إيه بالظبط، وعلشان كده أول حاجة بيعملها المراهق في المجتمعات المنفتحة المفتوحة دي إنه "يوشم" نفسه علشان يطلع لسانه لقوانين المجتمع الأبوي ده.

الوشم في الخليج أنا شفته ليه معاني الزينة لدرجة إن الستات بتموت بعضيها في الصالون علشان تعمل رسومات الحنا، واستحالة تروحي فرح متلاقيش الوشومات رايحة جاية، واللي بشوفها إنها بدون معنى حقيقي، مفيهاش قصة، مجرد زيطة على الإيد والرجل على الفاضي، بيحاولوا يداروا بصخب الرسم "خواء" المعنى في أي حاجة بيعملوها... أهي عادة لازم نمشي عليها.

اللي مهتم ممكن يستمتع بقراية تاريخ الوشم في الحضارات القديمة وحواديته، وهيلاقي حاجات مبهرة بصراحة تقولك يا ترى المجتمعات البدائية لمَّا بتتطور الوشم بياخد أنهي شكل معاها.

طيب الرغي ده هيودينا على فين!

إن الوشم اللي بيترسم حدوتة على الجسم، بعض المجتمعات بتستحدث "أوشام" تانية توشم وتوصم بيها الناس في مجتمعاتها وبتستحدث آليات فرز جديدة علشان تخليهم مميزين.

أنا مش هقول ايه، أنا هسيب كل واحد يركب حصان خياله ويدور على الـ"وشم" في مماراستنا اليومية.

وهتلاقي إن كلنا بنقع في الغلط اللا إرادي التصنيفي التعمدي

الواشم لتصرفات الغير.

الوشم والوصم اللي بنلاقيه في خانة البطاقة. الوشم والوصم اللي بنلاقيه في طريقة الزي. الوشم والوصم اللي بنلاقيه و انت منين من بحري ولا من الصعيد. الوشم والوصم اللي بنلاقيه و انت كلية ايه بقى يا ترى. الوشم والوصم اللي بنلاقيه في الحالة الاجتماعية.

الوشم والوصم اللي بنلاقيه في...

مش هقول... كملوا انتوا بقى.

ودوروا على الوشم اللي ممكن جدًا يكون حالة زينة مبهجة أو حالة تمرد عارضة، وممكن برضه يكون حالة وصم عجيبة بنفضل نفتت بيها الكيان الإنساني لغاية ما نفصّل "إنسان" يشبهنا إحنا ويشبه الـ"وشم" اللي على صدرنا علشان نبقى زي رشدي أباظة في الفيلم.

شوية يحطه وشوية يشيله بمية النار

وبرضه دي وجهة نظر... موشومة.

***

ماذا لو ستات العالم بكرة الصبح اتفقوا انهم مش هيلبسوا "برا" أو حمالة الصدر؟!

عارفين ايه اللي هيحصل؟

صناعة تقدر بما يقرب مئات البلايين هتقع، والصناعة قائمة على شركات متعددة الجنسيات وفق ويكيبيديا.

وتعالوا نرجع لحدوتة البرا، كان يا مكان يا سادة يا كرام ولا يحلى الكلام الَّا باللي له نبي يبعتله السلام، واللي مالوش ينقطنا بسكاته.

في القرن الرابع عشر كانت السيدات في الطبقة الراقية بيلبسوا الكورسيه وهو قطعة من القماش تعمل على شد الجسم بشكل كامل مما يدفع بصدر السيدة إنه يبقى باظظ في علامة منهم على الأنوثة الطاغية.

لكنه في الحقيقة كان بيعكس طبقية شديدة لأن السيدات في الطبقة الراقية كانوا بينظر لهن على اعتبار أنهم الأفضل والأغلى قيمة.

علشان كده لازم نغطيهم ونحميهم (مش بيفكركوا بحاجة الحوار ده يا ولاد، اممم حوار المصاصة والذباب وأختاااااااااااه).

ولأن السيدات في الطبقة الراقية كانوا يملكن القدرة المالية للاحتفاء بأجسادهن، فابتدوا يتباروا في لبس المشدات، مش بس كده ابتدت تطلق أحكام أخلاقية على السيدات الفقيرات اللي مبيقدروش يشتروا الكورسيهات دي.

وظهر مصطلح (Loose Women) واللي والنبي ما عارفة أترجمها ازاي، بس الولية المفكوكة، يعني الولية اللي عايزة تبين الحاجات فأكيد حتمًا ولابد عايزة قلة أدب (ده هُمَ اللي قالوا مش أنا).

وزاد إدعاء الأخلاق والفضيلة بين سيدات الطبقة الراقية لدرجة إنهم ابتدوا يصنفوا إن اللي مبتلبسش نوع جيد من المشدات هي أكيد إما إنها ممثلة أو عاهرة أو أي سيدة تحت مسمى سيء السمعة.

والعملية سخنت منهم لدرجة إن ارتداء المشد أصبح هو الطريقة التسويقية الجديدة لتقديم صورة المرأة الراقية ذات الأخلاق الحميدة، وتم إعطاؤها ختم أنها الأصلح للزواج.

وتم تطوير قطعة القماش لتتحول من كورسيه لغاية ما وصلت بقت حمالة الصدر بشكلها الاعتيادي، وده في مطلع القرن السادس عشر.

ومما يجدر ذكره أن قدماء المصريين مكنوش بيلبسوا برا أصلًا، واخطف رجلك سريعًا للمتحف المصري هتلاقي التماثيل سوليطي موليطي.

في سنة 1968م قامت مجموعة من الناشطات النسويات المدافعات من حقوق المرأة بالتجمهر أمام منصة تتويج ملكة جمال الولايات المتحدة الأمريكية للإعلان عن رفضهم كل ما "يسلع" المرأة يعني يخليها سلعة وكده، و اتفقن على أن تكون حركتهم الاحتجاجية هي نزع حمالة الصدر وإحراقها في مكان التجمهر لإرسال رسالة رمزية

للجمهور إن مفيش حاجة هتقيدنا تاني يا منى.

ومن هنا اتولدت الأسطورة إن الناشطات في العمل النسوي بيحرقوا البرا بتاعهم وده غلط أصلًا وبره السياق... بره الفصل يا كلب.

تم إجراء دراسات عديدة عن هل ارتداء حمالة الصدر يؤثر على صحة المرأة سلبًا أو إيجابًا؟

ولم يتم التوصل إلى نتائج مؤكدة بهذا الصدد، لكن اللي توصلت ليه كتير من السيدات في القرن الحالي في عالَم آخر مش بتاعنا أصلًا إن ارتداء حمالة الصدر يجب أن يكون اختيار المرأة نفسها تختار تلبسها أو لأ.

فكرة الاختيار بدون أن يصاحب اختيارها بالمو افقة أو الرفض أي نوع من لوي عنق الدراسات العلمية للانتصار لإجابات مسبقة وبدون أن يتم إصدار أحكام أخلاقية سلبًا أو إيجابًا على المرأة ذاتها.

وبمناسبة انتهاء حدوتة حمالة الصدر و اني شايفاكم نمتم، الحدوتة دي مش بتفكركم بحاجة في مجتمعاتنا الفشيخة؟

مش هجاوب لكن هسيب كلمات تنكش في دماغنا.

حتة قماش... اتطورت... أحكام أخلاقية... قيد... اختيار... حق الست انها تقرر... احترام الحق ده.

وعلى الهامش، أنا سعيدة إني قاعدة أقرا وبكتب في التاريخ الاجتماعي عن تطور الملابس الداخلية.

***

أنا الفرخة وانتو الكتاكيت

دي مش أغنية طفولية بنصحى عليها ونروح المدرسة، دي كانت سياسة مدير اشتغلت معاه لمدة تلات سنين في مشروع عظيم كده ومهيب وليه شنة ورنة وشوية حاجات فوق بعض.

المدير ده كان مقتنع تمامًا بسياسة إن الشغل هو أشبه بالكرتونة اللي بيقف بها أي بياع وفيها شوية كتاكيت ملونة.

واحنا طبعًا الكتاكيت، بس هو بيشتري الكرتونة باللي فيها، مش علشان يفرج عليهم العيال في البيت، هو بيشتري الكرتونة علشان يمارس سياسته الإدارية اللي هتحطم نظريات علم النفس وعلم الإدارة وأي علم هييجي في وشه.

الكتاكيت والكرتونة، بيجيب ورقة كرتون وبيعملها كأنها الضلع الرابع في الكرتونة (هي ضلع وهمي لأنه هو اللي عاملها) وبيزنق الكتاكيت في حتة من الكرتونة بالضلع الوهمي ده وبيسيب مكان فاضي.

هو بقى واقف يتفرج بره الكرتونة على اللي بيحصل جواها، مَرة يضحك من منظر الكتاكيت وهي بتعض بعض في منقارها، ومَرة يتدخل بشكل مباشر لو لقى الكتاكيت قررت تشيل حد فوق راسها علشان يحكيلهم إيه اللي شايفينه من ورا حدود الكرتونة.

وطريقته دي كانت هايلة الحقيقة لإن محدش من الكتاكيت كان عنده طاقة ولا وقت ولا مناهدة إنه يسأل "هو المشروع بتاعنا

ده بيبيع إيه؟ و إيه الاستر اتيجية بتاعتنا أصلًا؟" محدش كان عنده خُلق يحاسبه، هو أنا فيا حيل أصلًا، كفاية عليا معارك الكتاكيت جوه الكرتونة.

والمدير الهمام كل شوية يحرك الضلع الر ابع الوهمي والمكان يضيق على الكتاكيت فاللعبة تحلو أكتر وهو يستمخ بالمشاهدة من كرسيه أكتر.

أنا اشتغلت معاه شوية سنين كده كنت لسه وروروعطشانة إني أتعلم من كل موجة بتيجي تخبط على بيتنا.

الوصف الوظيفي بتاعي كان "كتكوت شغيل احتمالي المنفعة في المستقبل".

ودي ترجمتها: "عندي مهارة مش موجودة عنده وهيحتاج لها في التشريفات الرسمية والاستقبالات".

وبالتالي كان موقعي على حافة الكرتونة، لمَّا تيجي التشريفة بطلع بره الكرتونة وبشوف دنيا تانية مختلفة تمامًا، والنكتة إني بشوفه هو شخصيًا مجرد كتكوت في كرتونة تانية.

وأوقات كان بيصعب عليا وأوقات كنت بقول يستاهل خليه يدوق، لكنه لمَّا كان بيدوق كان بيرجع بغيظ أكبر وإلحاح أكبر إنه يحرك الضلع الوهمي في كرتونته الأصلية.

لمَّا تنتهي التشريفة بارجع لصفوف الكتاكيت أتعاركلي عركتين واتهرسلي هرستين واشوط في اللي يجي ف سكتي و اتشاط برضه، ولمَّا تقرب معاد التشريفة أتلمع واطلع اشم نفسي بره الكرتونة شوية

وارجع.

المشكلة إن كل مَرة كنت برجع فيها الكرتونة كنت برجع بأفكار جديدة.

اللي بشوفه بره الكرتونة بيفتح عنيا ودماغي وروحي على حياة مختلفة عن الحياة جوه الكرتونة خاااالص.

اللي كنت بشوفه بره الكرتونة كان بيسلك سلك سماعة دماغي الملعبك والحرارة بتدب فيه، وفجأة بلاقي الصوت الضايع وبفضل اقول ألو... ألو... ألو... لسه فيه حد عايش على الخط.

المشكلة مش إن الهوا بره الكرتونة بيسطلني، لكن طول ما أنا بره الكرتونة قاعدة اكلم نفسي عن الكتاكيت اللي جوه الكرتونة، ولمَّا أشوفهم أحكيلهم على اللي شفته وهنعمل إيه.

طول ما أنا بره الكرتونة كنت عارفة إني هرجع تاني للكرتونة، هي مسألة وقت مش أكتر معرفش دي حاجة حلوة ولا فقرية كاختياري اني "اتكتكت".

لمَّا كنت برجع الكرتونة (وغالبًا كنت بختار أسوأ توقيت ضيق أرجع فيه)، كنت بشوف الحجم الضيق والمساحات المنتهكة وبفضل أحكي لبقية الكتاكيت عن اللي شفته براها، بيسبوني يومين ويقولوا هتاخد فورتها وتهبط، ولمَّا مبيحصلش بيبتدوا يشدوني في عركاتهم اليومية علشان الحيطة بتقرب منهم والمكان بيضيق ويمكن أنا اهبط شوية.

استمر المشروع كذا سنة لغاية ما في يوم صحينا ولقينا المشروع بح.

الكتاكيت فجأة لقوا نفسهم من غير كرتونة.

أنا كنت عارفة إن الكرتونة دي فيستك أصلًا، فبقيت اجري و ابرطع و اتشقلب زي أي مهرج عاشق للدنيا والحياة من غير أربع أضلاع أو أكتر.

وببص ورايا لقيت زمايلي الكتاكيت كتير مشبكة رجليها في بعض وفعليًا مش عارفة تتحرك ونسيت ازاي أصلًا المشي بره الكرتونة.

كان عندهم حالة من الهلع لدرجة إنهم في لحظة افتقدوا الـ"كرتونة"، على الأقل كنا عارفين بنعمل إيه جواها لكن دلوقتي احنا حتى مش عارفين نمشي (ده كان كلامهم).

المدير بتاعنا غاب فترة كده، و اتكعبلت فيه من يومين، يا!!!!!! إزيك يا كتكت، إنتي لسه زي ما انتي وعنيكي بتلمع؟

وحواديت تشيلنا وحواديت تحطنا وهو اللي حكالي سياسته عن الكرتونة والكتاكيت، وحكينا في كل حاجة من أول طقطق لغاية سلاموعليكو.

ولمَّا كان بيقفش عنيا وهي مندهشة يعني بيحكيلي الكلام ده ليه، ألاقيه بيكمل على سؤال أنا مسألتوش بس هو عارفه "ليه أنا؟".

وكانت إجابته: "انتي قلبك نضيف يليق بكتكوت، انتي هبلة لدرجة انك مش مخوفاني منك حتى لو انتي كتكوت، بس مهم انك تفضلي موجودة في الكرتونة بتاعتي، انتي بتكملي الحتة اللي محدش هيعرف يمثلها في الكتاكيت التانيين، انتي مصدقة اللي بتقوليه ومهم يبقى عندنا كتكوت عنده الموهبة دي، وبعدين متنسيش انك عندك الموهبة القديمة اللي هتسندني في التشريفات".

يلا نبتدي شغل إمتى؟

قولتله أنا زمان كنت لسه سايبة نفسي مع الموجة وكنت عايزة أفنجل عنيا واشوف، بس أنا دلوقتي شفت ومش عايزة... فعلًا مش عايزة.

قالي هتخسري، وهتفضلي طول عمرك المتبقي ليكي تخسري.

وبخسر إني بلاقي نفسي كتير كتكوت مبلول وحيد في نص طرق مش عارف أخرتها هتروح على فين.

وبخسر لإني أوقات لمَّا بتنكسر روحي وبقول وانا ليه مبقتش كتكوت لا طلع ولا شاف ولا عرف وكان آخره ننقر في مناقير بعض.

وبخسر لمَّا بتلف السنين وبتقابل وبلاقي الأقزام ارتفعوا ومتشالين على الأعناق، وبيحملوا لقب "الخبير والاستشاري والعالِم ببواطن الأمور" وفلاشات الكاميرات عليهم وانا بقعد بتفرج على علمهم الغزير الطافح من بالوعة الميكروفنات.

أنا زي ما قالي مديري السابق بخسر في عركة الكتاكيت وبجمالة الخسارة، بتلفت حواليا لقيت الكتاكيت اللي كنت بحاول ارجعلهم في كل مَرة أول ما رجع المدير جريوا عليه وتقريبًا هُمَ اللي كانوا شايلين الكرتونة على دماغهم وبيجروا ناحيته مبسوطين. أنا فعلًا شايفاهم مبسوطين انهم هيرجعوا تاني للكرتونة.

طيب و أنا...

ولا حاجة هفضل كتكوت "وحيد"، اختار المَرة دي يبقى بره الكرتونة.

واختار "يخسر"، واختار يتفرج على الكتاكيت والكرتونة والمدير بيعيد نفس لعبته القديمة.

واختار يتبت في الحتة النضيفة الهبلة اللي جوه قلبه لتتوه منه وسط الكراتين والكتاكيت والحواديت اللي مش بتمل من إنها تعيد نفسها بنفس الممثلين وبنفس الديكور وبنفس الأداء الرخم البطيء.

إختار "يرفض" كفعل "كتكوتي" للمقاومة، مش علشان خاطر حد، ولا علشان أي مكسب يبان من بعيد أو من قريب، بس علشان هي كده.

معرفشي يقبل ومش قادر يرجع تاني لنفس الـ"كرتونة".

الـ"كتكوت" مش قادر يرجع مع إن التنشين عليه أسهل ما يكون طول ما هو ماشي لوحده براها.

أقل زلطة ممكن تجيب داغه، بس اهو مكمل في البراح العشوائي ممكن ينسوه.

ويمكن الكتاكيت لو صحيوا في يوم وملقوش الكرتونة يلاقوا حد يضموا عليه.

ويمكن يموت ويتعفن مكانه، ومحدش برضه ياخد باله... كتكوت وراح.

كل اليمكنات ممكنة، بس اللي ممكن جدًا والحقيقي جدًا واللي حصل إنه "اختار".

بس كده

بي. إس:

الحدوتة حدثت بالفعل، بس برضه ميمنعش إن أي تشابه في أحداث الحدوتة في الو اقع أو أي إسقاط من أي نوع ماليش دعوة بيه، كل واحد وحالته الكتكوتية وكرتونته اللي ماشي جواها.

هذا وقد لزم التنويه.

***

يعني إيه خبرة؟

يقولك فلان ده "خبرة"، فانت تفط ف دماغك راجل أوست كبار في السن مثلًا واشتغل في الحتة دي وقت من عمره، فراحوا رصوا السنين فوق بعضها وبالتالي هي دي الخبرة.

بس الحقيقة إن الخبرة مش هي انك ترص السنين، اللي هي بدورها مجرد رقم أجوف خالي من المعنى، إلَّا إذا انت –وش حد بيزغدك في كتفك عشان تصحصح– حطيت على السنين دي معنى و ابتديت تسأل نفسك: يعني إيه خبرة؟

الطفل الصغنتت في أول مَرة يحط صو ابعينه الصغنتتين في كوبس الكهربا رامي ورا ضهره كل زعيق أمه اللي بيخرم الحيطان، لكنه مش بيوقف رغبته في الكشف والاكتشاف عن العالَم السِري اللي ورا الخروم.

بالنسباله الخروم السودة هي مكان مثير جدًا للاكتشاف، ولازم انتصر عليه بالطريقة اللي أعرفها.

الخروم السودة بالنسباله هي ثقوب سودا لسه ميعرفش عنها حاجة ولسه مفيش بيانات دخلت دماغه هو، بطريقته هو، مش بزعيق أو بطريقة حد تاني عنها فبيستجيب وبيحط صو ابعينه وع البركة بيعمل إززززز.

الغريب إن نفس الطفل مع نفس الفيشة مع نفس الخروم مع نفس الصو ابعين اللي عايزين يتاكلوا أكل، بيفضل يكرر نفس عملية

الكشف والانتصار على الثقوب السودا، بس في المرات التانية ممكن يكون لأسباب مختلفة، مش علشان هي مجهولة بالنسباله، لكن عشان يعاند الست دي أمي في أول خناقة علشان يثبت "لأ بقى أنا كمان عندي صوابع ورأي وقرارات".

ومع الوقت بتتكون مع الطفل اللي تاعب قلب اللي خلفوه في رحلته الطبيعية جدًا، إنه يكبر وياخد كل حاجة حواليه بالحضن وبالصوابعين عشان يكتشفها، هو لسه بيحاول يكونله "خبرة" عن العالَم الكبير ده، النور أوي ده اللي مختلف عن العالَم، اللي الكهربا كانت قاطعة فيه، لإن مفيش كشافات في رحم أمه.

وهو بيحجز نسخته من باكيدج الـ"خبرة" جزء كبير منها بيتكون من التربيطات والوصلات اللي بيقدمهاله أي حد أطول منه وأكبر منه، زي مثلًا زعيق أمه أو ضربها ليه كل ما بيعمل محاولاته الكشفية في أدغال الفيش، أو يمكن "وجعه" هو الشخصي لمَّا بينور مكان أي لمبة موفرة للطاقة، وبيعمل إززز.

وبيكبر وبيخش الدنيا بباكيدج خبرة مليان أسلاك ووصلات كهربية متعشقة في بعضها زي سلك التليفون الملعبك، بس بتبتدي بزعيق القريبين منه، إوعى تعمل كده ليحصلك والعو ياكلك مثلًا.

أو حاطط فيها التاتش بتاعه هو الشخصي من كوكتيل مشاعر مش فاهمها، لكنها هي اللي بتخلي بعض السلوك جوة لمبة روحه أحمر، يعني مو اقف قابلة لتفجير مشاعر غضب وضيق أو حروق جسدية ونفسية مش سهل يتعافى منها.

أو سلوك جوة نفس ذات اللمبة وجنب نفس ذات السلك الأولاني

بس لونها أخضر، يعني المو اقف اللي بتتدفق فيها روحه زي شلال مقداموش أي حواجز لغاية المصب اللي عايز يوصله.

الطفل مبيقعدش مع نفسه ويفلّي روحه عشان يشوف السلك الأحمر ولا الأخضر، ولا أي واحد فيهم، لأن لسه صفحة روحه ميتها رايقة، المية فيها ماشية تتمخترعلى وش الحياة بإيقاعه هووبقدراته هو، لأنه الكائن الأذكى اللي بيحاول يتحايل على فكرة طرده من جنة الـ"رحم" وبيحاول يشوف العالَم اللي براه في رحلة صيد وكشف طول الوقت.

نفس الطفل لمَّا بيكبر بيخوض وياخد باكيدج الـ"خبرة" من ناس كتير جوة دايرة رحم بيته وبراه.

وبيكبر نفس الطفل وبيبقى شحط طويل عريض، شنبه يقف عليه الصقر ويعمل بيبي ويمشي، ويقوم فاقعنا في السي في ويقولك عندي خبرة شخروميت سنة في تصليح جلدة حنفية حمام بيتنا بخبطة واحدة على الحنفية.

واحنا طبعًا نقول واااااو.

اتكونت إزاي الخبرة، اتكومت، اتراكمت، اتضربت في الخلاط دي بتاعه: هو.

بس الغريب إن الطفل اللي كان لسه معندوش "خبرة" ولسه بيحسس في طريقه زي الشيخ حسب النبي في الساونا، كانت رحلة الكشف مرتبطة معاه إن معندوش "يقين" كافي من أي حاجة، فلازم يجربها لغاية ما يلاقي السلك اللي يشيله جوة روحه.

لمَّا بيكبر بيبتدي يتحول لكائن كسول، أيون، مغلف بطبقة

سميكة جدًا من الـ"يقين" إنه فاهم كل حاجة وعارف كل حاجة، وأصلًا كل الهري والغلي ده عدى عليّ قبل كده، و أنا بقى البُورَم اللي فاهم الفول واللي زرعه.

والغريب أكتر إنه بالرغم من كل ادعاءات الـ"خبرة" وكل هطل الـ"يقين" لكنه برضو بيقابل ثقوب سودا في فيشة على حيطة مو اقف الحياة، وبتلاقيه برضو بيحط نفسه مش بس صو ابعينه وبيعمل إززززز.

طب ليه الرغي ده برضه؟!

علشان الخبرة من وجهة نظري مش معناها إنك بقيت في المربع ده فترة طويلة من الزمن، فبقيت واد خبرة يعني (وبالمناسبة، مش عارفة ليه لمَّا بيتقال البنت دي خبرة لازم يبقى معناها قبيح، غالبًا كل حاجة بتتقال على البنت بتبقى أوبح، يعني ما علينا)، البقاء في الأماكن الثابتة فترات طويلة بيفقدك القدرة على الاندهاش بثقوب الفيشة الموجودة على الحيطة لأنك ابتديت تعرفها وتربط أسلاك جوة روحك مرتبطة بيها.

الخبرة هي قدرتك إنك ترسم رحلة لنفسك بتكون قادر فيها على اللي بيسموه "Authentic Learning" يعني تعلم حقيقي.

هو فيه تعليم حقيقي وتعليم مضروب؟ آه ممكن جدًا، التعليم الحقيقي هو اللي انت روحك نفسها بتنضرب في الخلاط، وبتقدر على الرغم من إن التجربة بتتعلق بيك انت إلَّا إنك تنسلخ كده زي فروة الخروف منها، وترجع خطوتين لورا وتبص على نفسك جوة المعجنة وتبتدي تعمل أهم مهمة من وجهة نظري للإنسان على الكوكب

البائس ده إنه يعمل (Learn, unlearn and relearn).

ودي يعني إيه يا ولاد (أصلًا زمانكوا نمتوا ومش مكملين قر اية، بس ولو أنا هكمل رغي).

يعني رحلة التعلم الحقيقي اللي بيكون فيها الإنسان قادر إنه يبص على السلوك الحمرا والخضرا (اللي هي اتكونت و اتوصلت وادت أهميتها من مو اقف حياته)، ويعرفها كويس أوي، وبعدين يبتدي يفككها، يفكك كل التربيطات مع الحاجات اللي كانت بتستجلب له الحزن، وده الاغلب، أو اللي بتخليه يخبط على بيبان الفرح ويعيد تركيبها في ثقوب سودة في فيشة جديدة على حيطة لسه قادرة إنها تبهره، برغم عمره الرقمي اللي بيوحي إن عنده خبرات، لكنه في الحقيقة معندوش تعلم حقيقي.

لمَّا تيجوا في الإنترفيوهات تسألوا الناس عن الخبرة بلاش تنبهروا بالسنين، انبهروا بقدرتهم إنهم يجاوبوا على سؤال "إنت اتعلمت إيه في مشوار حياتك؟ و إيه اللمبات اللي إنت بنفسك نورتها؟".

لمَّا تيجوا تقابلوا ناس في حياتكم بيفكروكم بناس تانية أو بباكيدج خبرات تانية، قبل ما تلجؤوا لأكسل حيلة على وش الأرض وهي انك تعمل نفسك فكيك وبُورَم وفاهم، إدّي نفسك فرصة إنك تفهم الأسلاك جوة روحك، والأشخاص الجداد يا ترى ليه ارتبطوا بالأسلاك سواء الحمرا أو الخضرا.

لمَّا تقابلوا ناس في حياتكم اتعلموا بمنطق الطفل اللي لسه الخروم السودة في الفيشة قادرة إنها تثير فضوله لرحلة الكشف، مش بس ليهم، له هو/ هي شخصيًا.

لمَّا تيجوا تبصوا على موقف معين بلاش تبصوا عليه بعين الخبير الإستر اتيجي اللي هيجيبلك بقى من تحت الحوض، وعرَّضوا دماغكم ومتكشكشوهاش إنكم تتعلموا، وتفكوا حتة البازل اللي كانت و اقفة في الزور، وتتولدوا من أول وجديد مع كل خبرة تعلم حقيقي.

الطفل لمَّا طلع من رحم أمه في أول مَرة كان بيصرخ في وشنا، لإننا طردناه من الـ"جنة" اللي يعرفها.

لكنه مش عارف إن فيه "جنة" تانية مستنياه اسمها رحلة تعلمه هو الحقيقي، و إنه يكون "خبرة" حياة حقيقية تبقى على قد بصمة روحه هو مش حد تاني.

بس كده.

وصباحو ولادات للحياة لكن مش بتقول واء واء، لكنها بتوعدنا برحلة لل"جنة" تستحق إنك تحجز فيها أول واحد ومفيهاش سواق غيرك إنت.

***

حيطان

مش عاجبك اضرب دماغك في الحيطة (المثل الأكثر استسهالا في إنهاء أي مناقشة بين طرفين، واحد شايف نفسه إنه طرف علوي والتاني قاعد تحت رجليه المفروض يقوله حاااااضر).

امشي جنب الحيطة يا حبيبي علشان محدش يضايقك (وش أي أم بتحمي ولادها من مجتمع هي بكامل إرادتها ووعيها اختارت إنهم يتولدوا فيه، وإذ فجأةً بعد ما جابتهم للدنيا اكتشفت إنه مجتمع زبالة فاتشعلقت بيهم وبالحيطة).

ضل راجل ولا ضل حيطة (المثل الخايب اللي بتقوله الستات الخايبة في القعدات الأخيب بتاعتهم، واللي المفروض اللي يعترض عليها الرجالة مش الستات خالص يعني إيه راجل طويل عريض بشلنكبات كدهون وعدد اتنين موجانص في مناطق متفرقة من جسمه يقبل إن يبقى أقصى إنجازه في الحياة وسقف طموحه إنه يتقارن بحيطة).

"بيمشي على الحيطة وبيقول يا رب سلم".

ده مثل تخويفي تحذيري من بتوع لا تشرب الدواء الدواء فيه سُم قاتل يا احمد يا ابراهيم علشان لو رجلك هوبت ناحية الحيطة وفكرت مجرد تفكير انك تنط ولَّا تمشي عليها مش هتلاقي حد ينفعك، حتى ربونا برضه نفض إيده منك.

والنبي مجتمع بيدلدق بؤس ومُصر يعاملك زي البيضة بتاعت

أليس في بلاد العجائب اللي بقى كل همها إنها متقعش وهي ماشية على طرف الحيطة، ونسيت إنها تبص من موقعها الاستراتيجي فوق الحيطة المزعومة يمكن تلاقي مكان تنط عليه.

واذا خلصت من فكرة الـ"حيطان" في الموروث الدماغي السلوكي في المجتمع الأسمنتي ده تخش على البيبان.

"الباب اللي يجيلك منه الريح سده واستريح".

طب مش يمكن لمَّا تفتحه يبقى على الأقل كسرت رهبة الخوف من اللي وراه، وليك يا سيدي أجر المجتهد إن أصاب أو أخطأ، بتقفل البيبان ليه يا عدو البيبان.

حيطان... حيطان... حيطان... حيطان.

المجتمعات اللي بتقدس الـ"حيطان" شكلًا ومعنى وعمقًا.

الـ"حيطان" اللي بتحد من الرؤية. الـ"حيطان" اللي بتقفل عليك مية ونور ونفس. الـ"حيطان" اللي بتفضل تقنعك بـ"خليك في اللي جوه الحيطة ومالكشي دعوة باللي براها أحسن ياكلك العووووووو".

الـ"حيطان" اللي بنضيع عمر واحنا عمالين نعليها ونعليها، واحنا فاكرين إن احنا بنحمي روحنا الشفافة الرقراقة، طب بنحميها من إيه؟ مش مهم تعرف بس أكيد يعني ورا الحيطة فيه أبو رجل مسلوخة...

الحيطان اللي بتختصر وبتختزل حياتنا ومفهومنا عن المناطق الآمنة اللي بنضطر نبلبع حبوب الشجاعة علشان نغادرها ونقاومها ونتغلب عليها مع إنها أصلًا مش موجودة ولا تستحق المعاناة دي كلها.

الحقيقة يعني إن احنا بنبني حيطان وبنبني معاها سجون بإيدينا بتمنعنا إن احنا نشوف الحياة بزو ايا أخرى ونبص على مدد الشوف يمكن لمَّا نهدها نلاقي فعلًا أبو رجل مسلوخة، مش يمكن يطلع كائن متوحش مُسلي ورجله اتسلخت في ظروف قدرية هو مالوش ذنب فيها.

هو مجرد جزء من توليفة الأسطورة، ويمكن برضه يطلع كائن بينفخ ناروهيشوشحك... وماله... متقنعنيش إن قعدتك ورا الحيطان متدفي مطورتش عندك أي أسلوب من أساليب الفرز والمقاومة والتغيير ومواجهة الخطر أو الوحوش، إيه مطورتش... حبيب ماما انت والله... خليك قاعد.

في لحظة بتكتشف إن الحياة اللي انت بنيتها وعلتها مكنتش أكتر من حيطان في دماغك انت وبس، وطبعًا جزء كبير من الطوب اللي فيها اتبنى و اتحط بإيدين فواعلية محترفين من المجتمع والناس والدين و انا و انت ورقصني يا جدع على مونه ونص.

بس اللي ينفع يتقال إن ممكن جدًا تعيش حياتك من غير حيطان محتاجة تتزق، ولا بيبان محتاجة تتفتح لأنها أصلًا مش موجودة.

برطم عليها التعويذة السحرية وقولها "بخ" أو "آبرا كادابرا" وهتلاقيها في لحظة بخ فنيتو.

حتى الثقوب الموجودة في الحيطة وعشنا واحنا في محاولات عقيمة علشان نسدها، وهي في حقيقة الأمر ثقوب خواء أينعم، بس هي نوع الثقوب اللي موجودة علشان يتسلل منها الضي.

الثقوب الموجودة في جدران روحنا هي مساحات لكي يتسلل منها إحساس إننا غير مكتملين.

نحاول جاهدين أن نكتمل بالأشخاص والأشياء والأوطان ولحظات البهجة المسروقة من عمر الزمن.

لكننا لا نكتمل. ومفيش داعي أصلًا نكتمل. إحنا غير مكتملين. ومش هنكتمل.

وكفاية محاولات لسد الثقوب أو تلصيمها، أو نجيب عليها شوية أسمنت ومونة ونسدها على الآخر.

هي ثقوب مرسومة ومنحوتة بإبرة الوجع لندرك أننا عبثًا... لن نكتمل.

لا تسد ثقوب ولا تبني حيطان، وكفاية إن احنا عايشين نبني في حيطان هي صدقًا غير موجودة غير في ذهنك.

***

خدي اللي يحبك... هيواى؟!

خدي اللي يحبك ومتاخديش اللي بتحبيه".

أمهاتنا كانوا بيقولولنا النصيحة الذهبية للحياة الهنية علشان تعيشي مرتاحة يا شلبية.

والحقيقة أنا بستغرب من النصايح الأنانية أوي دي، حتى لو كانت مغلفة بحسن نية، ولمَّا تيجي تسألهم يردوا عليكي بثقة: "ما انتي لو أخدتي اللي بتحبيه هيتحكم فيكي وهيمرمطك".

مش عارفة أنهي نوع من الخبرات مرت عليهم في حياتهم هُمَ شخصيًا أو سمعوها في حياة العابرين وخلتهم يقعدوا مع بعضهم في قعدة صفا كده ويتفقوا إن دي نصيحة مهمة جدًا في اختيار شكل وطعم ولون الحياة المستقبلية ويكحرتوها لبعض على مر الأزمنة.

واللي مستغربة منه إن البنات نفسهم بيرددوها بثقة منقطعة النظير في دور مبكر انهم يمسكوا الر اية بتاعت أمهاتهم.

ليه اللي بيحبك ليه أسبقية الحجزوالتوصيل السريع الي القلب، مع إن احتمال وارد جدًا إن اللي بيحبك انتي متحبهوش، أيون، إيه ذنبه بقى إنه يبقى ف علاقة هو حاسس فيها إنه مش محبوب كفاية، وارتباطك بيه مجرد استخسار "قوماشة حلوة" نزلت في موسم التخفيضات.

ليه اللي بتحبيه دايمًا رهان خاسر ومصحوب بحالة من الترقب وطرطأة الودن على الحيطة علشان أكيد هتفشلي، أصل اختيار اتك

هتبقى غلط (إيه ده إهدي).

علموا ولادكم إنهم ميقعدوش في الاختيارات الثنائية للحياة، يا تن تن، يا تان تان.

علموهم إن فيه طريق تالت عايز تشمير دراعات أكتر لإنه من كتر ندرته مبقاش موجود ولا مذكور على كراسة الشروط.

علموهم انهم بس يختاروا، يختاروا أي شكل في الارتباط يكونوا فيه ويلتزموا بده.

علموهم انهم يحبوا ويتحبوا ويقدّروا علاقة ثنائية محتاجة مشاعر رايح جاي من الاتنين ومحتاجة تتروي من مية قلوبهم وعقولهم.

علموهم إن المشاعر مش حاجة وحشة ولا مخجلة ولا تتدارى.

علموهم إن حتى الحُب فيه أنانية، بس بنتعلم نكسرها شوية لمَّا بنط في جزم اللي قدامنا وبنتخيل إنهم من حقهم هُمَ كمان يكونوا محبوبين ومرغوبين ووجودهم في حياتنا مش مجرد سد خانة، وجودهم بيعمل حالة ونس وصفا وكدر ولخبطة وكوكتيل مشاعر يستحق يتعاش.

علموهم إن تجاربنا حتى احنا الشخصية فيها حاجات كتير اتقالت، وفيها حاجات أكتر متقالتش فيسمعوها ويفلتروها ويدخلوها خلاط روحهم هُمَ، وينقوا ببوصلة دماغهم اللي ينفع في حياتهم، واللي يتباس ويتحط جنب الحيط.

علموهم إن الحياة والحُب والناس كيميا مش لازم يبقى ليهم

باترون واحد والكل يتفصل عليه، لأن احنا نفسنا مقاسات روحنا بتتغير.

ودماغنا بتكبر إنها تخش في فانلة أي أفكار مش على مقاسنا.

علموهم يختاروا واحترموا اختيارهم اللي ممكن جدًا يكون اختيار مكنش موجود في السؤال أصلًا.

علموهم يجاوبوا أسئلة الحياة بطريقتهم علشان مفيهاش إجابة نموذجية.

***

إجابة نموذجية

في سلاح التلميذ والمعاصر كان دايمًا فيه سكشن من ورا اسمه الإجابات النموذجية واللي غالبا معظمنا كان بيفتحه الأول قبل ما يبتدي يحل. أنا شخصيا كنت بتضايق جدا لما بابا يخبي السكشن دوت في محاولته البائسة إني أحل لوحدي. الحيلة دي كنا بنعملها علشان نقيف الإجابة على السؤال... (لا داعي للتصفيق ع النصاحة أوفردوز).

بنكبر شوية وبنخش في بلاعة الثانوية العامة وبتتصطدم عليها كل طموحاتنا وخططنا اللوذعية في الحياة، وبنفتكر إن العيب كان في الأسئلة اللي جاية من بره الكتاب، كنت دايمًا بسأل نفسي لما أسمع تصحيح الثانوية العامة هم بيعملوا إزاي «إجابة نموذجية» علشان يقدروا يصححوا عليها كل العبقرية اللي دلقناها في الورق. بنكبر أكتر وبنلملم روحنا من فشل الثانوية العامة وبنخش في معترك الحياة، آه هي معترك عشان بتتعرك جواه يا حلو وبتتعارك وبتتعجن في الخلاط.

بتكتشف إنك بالرغم من إنك بقيت كبير وأهبل، قصدي كبير ومش بتمتحن ولا حد بيسألك أي أسئلة، إلا أن الإجابة النموذجية بقت محوطاك في كل حاجة... كل حاجة:

– أبوك وأمك... متوقعين منك إنك الابن أو البنت النموذجية، يعني اللي ينفع يتقيف في صناديق توقعاتهم وأوقات أحلامهم هم الشخصية اللي مقدروش يحققوها.

– الشغل متوقع منك إنك تكون الموظف المثالي، وطبعًا ده معناه

الموظف اللي عليه العين والحاجب علشان عايزينه، بس كمان شوية يلا نشوطه ونجيب حد تاني علشان يلبس سلطانية فخر أداء الشغل.

– الحب والعلاقات والجواز، يمكن أوقات بنراوغ في الإجابات النموذجية المتعلقة بيهم، بس محدش يقدر ينكر إننا بنخشهم وكل واحد لابس جزمة ضيقة في دماغه علشان عايز يلاقي حاجة محددة أو صورة اترسمت في عقله هو وهو قاعد الساعة اتنين بالليل في ليلة شتوية بيحاول يفهم هو إيه اللي جابه هنا.

مش قادرة أحدد ليه الإنسان بيدور على إجابة نموذجية للأسئلة اللي بتتنطط في دماغه، وليه لازم يوصل، والوصول يكون لشيء نموذجي. النموذج بالنسبة ليا هو «اتفاق» أو عقد على أن إجابة معينة نفعت تجاوب على سؤال معين في وقت معين مع ناس معينين. إزاي بنستخدم نفس الإجابة دي مرة ورا التانية في مكان تاني ومع ناس تانيين في ظروف أكيد مختلفة.

مع كل مرة بقفش نفسي فيها –ما أنا كمان أوقات الحمار الأصيل جوه مني بينهق– بدور على الإجابات النموذجية، بقفش حتة من روحي بتبقى عايزة ترتاح أو تريح شوية قبل ما ترجه تتمرجح في حلزونة الأسئلة اللي ملقتلهاش إجابة لحد دلوقتي.

على قد ما أنا بحب الأسئلة وبشوف إنها نقطة البداية في أي مشوار هتقرر تمشيه علشان تفهم روحك ودماغك وتلاقي لنفسك مكان على خريطة عالم أوسع ومتغير، إلا أني ابتديت أفهم إن أوقات مش بنستحمل نمشي من غير إجابة. السؤال في بدايته بيكون شقي ولذيذ وحرش كده، زي إنك تتأمل في السما وتسأل هي ليه الشمس

مالهاش أب ولا أم، أو إنك تاخدلك غطس في المية وتقابل سمكة بتزق سمكة تقوم تسأل هو السمك لما بيتكلم المية بتخش في بوقه ومش بيشرق... طب هو السمك عنده لغة يتكلم بيها مع بقية السمك، بيفهموا بعض إزاي؟

لكن مع الوقت ممكن السؤال يتحول لدهاليز وممرات تاخدك معاها فتنسى أصلًا وتقف تدبدب و أنت و اقف على مفارق الطرق وتقول، بس أنا إيه اللي جابني هنا؟!

البعض مننا بيشوف أن ده متعة، والبعض التاني ممكن يشوف في ده خوف وارتباك وحيرة، والبعض التالت ممكن عدم الوصول لشيء يكون بيؤلمه لدرجة إنه بيقف ويغني «ماسك الهوا يااااااخراااااابي بإيديا». ساعتها يمكن الإجابة، تكون زي مسكن لطيف بيقلل من فرهدة المشوار، تبلبعه كده مع بوق مية وتقول نفسك باااااس خلاص لقد وجدتها وقفشت الإجابة. بس هيبقى أكبر غلط تعمله في حق نفسك وحق أي حد تاني لما تقولهم وسع يا جدع أنا اللي معايا الإجابات النموذجية، مافيش حد غيري هيقول بقى وسبوني أمسك المكرفون لوحدي. ساعتها بتؤذي نفسك أكتر ما بتؤذي أي حد تاني، لأنك بتتحول لروبوت آلي متبرمج على شوية إجابات، كل ما حد يدوس زرار يقوم هو يحدفه بشوية «رص» تحت بعضيهم.

يمكن الحياة جمالها وعذابها ومغامرتها إنها عمرها ما كانت ولا هتكون لوكشة أسئلة وتحت منها لوكشة إجابات، يمكن علشان نفضل نحس إننا قادرين كل يوم الصبح نصحى ونبص للشمس، ونضحك من سؤالنا القديم عن «عيلة الشمس» بس على الأقل

لسه فيه حاجة قادرة تزغزغ روحنا وتخليها تتحرك أبعد من الركود والذبول والموت ببطء. لو عايز رأيي، مع أن محدش طلبه بس أنا هتطوع و أقوله، مش محتاج تمشي في الدنيا غير بشنطة فاضية، ممكن مرة تعبيها بشوية أسئلة، بس حاسب لتعبيها بأصنام شوية، شوية كده هتجوع وهتاكلها وهتضحك على نفسك إنك كنت فاكر روحك خلاص وصلت للحكمة المكتوبة على مؤخرة نملة ماشية تحت حجر في غابات أفريقيا.

نظرية البطيخة

المجتمع اعتمد على فكرة التطبيل على البطيخة كنوع من الاحتراف الخفي في معرفة هل هي قرعة ولا حمرة.

التطبيل على البطيخة هي فتفوتة صغنتتة من ملامح القرية اللي بناخدها معانا، ومفهوم الفلاح الفصيح اللي بنشيله في البؤجة واحنا رايحين المدينة، واللي لو هي مدينة بحق مش هتعترف بفكرة التطبيل على البطيخة لأن المفروض البطيخ كله هيتم إنتاجه بأدوات الحداثة بما يقلل من نسبة الحصول على بطيخة قرعة بكل طريقة ممكنة، وبحيث يصبح المستهلك غير مجبر على التطبيل على البطيخة (إيه اللي بقوله ده، ما علينا).

التطبيل على البطيخة كملمح من ملامح الحياة الزراعية اللي لازم نعترف إن احنا مش بنتخلص منها أصبح نظرية في الحياة في حد ذاتها.

يعني المجتمعات اللي و اقفة في النص بين القرية وبين المدينة في صورتها الحديثة ابتدت تحط التاتش بتاعتها على نظرية البطيخة.

وبقى عندنا المفهوم بتاع "الجواز زي البطيخة" في إشارة انك استحالة تعرف يا ترى هتطلع قرعة ولا حمرا.

والغريب إن المثل مش حقيقي وإن النظرية فشنك، وإن أكتر الناس اللي بتغادر مجتمعاتها وبتعيش في مجتمعات تانية بس للأسف العِرق الفلاحي الأصيل لسه متأصل في خلايا دماغهم بتلاقيهم

بيستخدموه.

الجواز ممكن يكون محطة زي محطة اختيارك للكلية أو عملك أو تغيير محل إقامتك و اتخاذك قرار معين بالسفر أو شراء استثمار معين.

إنت ممكن تحط مؤشرات معينة على هل هيطلع بطيخة قرعة ولا حمرا؟

وإذا حتى بنتكلم عن طبيعة إنسانية متغيرة وصعب إنه يتاخد ليا لقطة في موقف واحد ويتم تعميمه.

فبرضه ده هيرجعنا يا ترى المؤشرات اللي انت حطيتها لنجاح البطيخة قصدي الخطوة كانت حقيقية ولا انت أوهمت نفسك إنها حقيقية وبعد شوية لمَّا شقيت البطيخة بالنص طلعت مش كده، فبدل ما تواجه روحك إنك محتاج تراجع ليستة مؤشر اتك كان الحل الأسهل إن احنا نشاور على البطيخة العجيبة السحرية اللي على الرغم من إننا طبلنا عليها... بس برضه طلعت قرعة.

في لحظة من الحياة مهم انك تحترم الجمجمة المتمركزة بثبات بين كتافك، ومهم انك تقول لروحك إني أغفلت عن عمد مؤشر هام في البطيخة.

"مرونة العلاقات الانسانية":

إلي أي مدى بنكون على قدر مهم من المرونة في التعايش، ويا ترى تفسيرك إيه عن المرونة؟

وهنا لازم يطلعلك المثل القروي برضه "أنا بطنش علشان

المركب تمشي".

المركب هتمشي ده صحيح بس مش هتروح أبعد من النقطة اللي هي و اقفة فيها واحتمال بعد شوية تغرق زي تيتانك مع إنك كنت مراهن عليها انها هتبقى سفينة نوح.

المرونة في العلاقات الإنسانية إنك بتسيب مساحة لشريكك إنه يتغير من غير ما تحسسه انك مصدوم من التغيير اللي حصله أو حصلها.

المرونة في العلاقات الإنسانية إنك تكون عارف إيه أبعد نقطة ممكن توصلها فضولًا، و إيه النقطة اللي بترجع تتمركز عندها.

المرونة في العلاقات الإنسانية إنك تتوقع البدايل واذا مكنش فيه بدايل فمهم انك تتعلم إزاي تزق كتف وتعمل لنفسك بدايل، ومحدش بيقول إن الحياة سهلة ولَّا هتفضل تأكلك بالمعلقة، ممكن نكبر بقى ونسيب حضن ماما... ده لو عايزين.

المرونة في العلاقات الإنسانية إنك تتعلم انك تتحمل جزء من الفشل والخطأ زي ما بتتصدر المشهد في صورة النجاح والفرح ولحظات الحُب الأُولى.

المرونة في العلاقات الإنسانية إنك تتعود تقول اللي انت عايزه لشريك حياتك بشكل واضح، واللف والدوران اللي بتمنحه لينا الحياة على غير إرادتنا مهم إنه يتركن على جنب إذا كنت بتدور على لحظة من التعري الصادق أو شراكة إنسانية حقيقية مع بني آدم مش مع مخدة زي ما راجل ياباني أخر ما زهق راح اتجوز المخدة بتاعته.

يمكن الكلام اللي بيتقال ده كلام نظري.

ممكن جدًا، بس حاولوا و انتوا بتطبلوا على البطيخة علشان تكتشفوا يا ترى هي قرعة ولا حمرا حاولوا تسألوا روحكم يا ترى احنا عندنا مرونة الأستك في التطوروالتغييرفي العلاقة الإنسانية؟

ولَّا الأستك هرودلدل خلاص ولو شديته دلوقتي راح يلسعني؟

استمروا في التطبيل على البطيخة، بس متزعلوش لو طلعت قرعة، لإنكم كنتم بتطبلوا على كورشكم وعقولكم انتوا الخاوية.

طبلوا بقى... استمروا.

***

فين رمضان بتاع زماااااااان!!

أنا بسأل برضه بس مش نفس السؤال أنا بسأل أسئلة تانية زي: يعني إيه رمضان بتاع زمان؟ زمن الصحابة والرسول ولَّا زمن أبهاتنا وأمهاتنا المصحوب بتنهيدة عميقة؟ وبسأل برضه إيه المطلوب يعني بعد ما نقعد ننكش بملقاط على رمضان بتاع زمان؟

طب اللي معاشي زمان ومش عايز ينجر معاكوا في زوحليقة الزمن اللي بتوديكوا لورا يعمل إيه؟ طيب ويروح فين ويبجي منين؟

مفيش أسوأ من توقيت تواجدك على خارطة الإنسانية في زمان ومكان بيعاني من الإفلاس الشديد لدرجة إن كل ما يتم إنتاجه وتصديره والاحتفاء بيه هو "زمان".

مع إن ممكن جدًا إن يكون الزمان اللي بيتم تأليهه وتقديسه مش بالجمال ولا بالحلاوة ولا بالقطقطة اللي بيتم تصويرها.

هي مجرد حالة غيبوبة لخلق فقاعة وهم يسهل التعاطي معها والذوبان فيها، فبتلاقي نفسك فعليًا بتحن لحاجة أنت متعرفهاش وحتى لو كنت عاصرتها بالسن متكنش بنفس حدة التأثر اللي بتدعيها حالة الحنين الجارف المميتة للزمان دي.

لمَّا تسأل أي حد يعني إيه رمضان؟ هتلاقيه بيقولك إجابات نموذجية معظمها كادرات من فيلم "عسل أسود"، واللي هي يعني اللمة ع الفطار والجار المسيحي بيدي للمسلم طبق مهلبية والتاني يحطله فيه قطايف، وممكن تلاقي إجابات عن فوازير فطوطة ونيللي

وشيريهان.

ممكن تلاقي حزب "البهجة" بيدور على البهجة بملقاط في الفوانيس.

محدش بيحجر على ذكريات الشخص الفردية وكادر حياته اللي بيعيشه في رمضان واللي ممكن جدًا ميكونش بالملائكية ولا النورانية ولا البهجة العارمة دي، لأن رمضان في جوهره يعني بقى لو هنتكلم هو مش المفروض يكون شخص بهجة، أيون هو شهر تكدير وتهذيب وإصلاح، ودي مفردات مبتجبش بهجة نهائي يعني، بس انتوا مش بتحبوا تسمعوا كده.

أن تتحول حالة الحنين الجارف إلي كادر هلامي ثابت واحد وبيفرض نفسه عن رمضان دي حالة تعدي صارخة على المساحات الفردية وتحويلها إلي حالة "رمضنة" عامة بتطول الذكريات وبقت تتعدى ده لإعلانات بتاجر حتى بشوية الذكريات اللي كنا شايلينها في شكمجية الزمن.

البعض ممكن يشوف إن ده شيء لطيف ومبهج ومثير للشجون، لكنه مثير للقرف من ناحية تانية لإنك فعليًا مبقتش تملك من حاضرك أي حاجة وبقيت عامل زي اللي طلع على المعاش وهو لسه شباب وقاعد يكرفي دايرة الزمن ويفتكر أيام زمان، ودي حالة معروفة يعني اسمها "الإفلاس الإنساني الشديد".

الإفلاس اللي مش بس بيشاور بصوابعه العشرة إن مبقاش فيه تراكمية وتصاعدية في البناء الإنساني لدرجة إن يكون لديك ما تمتلكه حاليًا لتناوله وتوصيفه ومنحه للي هيجي بعدك واللي هيحن

بدوره للزمان.

تقدر تقولي هتمنحهم إيه غير إنك هتقولهم مكنتش فاضي والله أنا كنت عايش محبوس في قمقم اللي قبلي ملحقتش أدحرجلكم حاجة تفتكروها غير الإفلاس والخيبة.

ومن ناحية تانية بيعيشك في نفس الأجواء الأسطورية المحتاجة تفكيك وتكسير وتمزيع لآخر فتلة في النسيج المهترئ، واللي بتليق بأسرة مصرية مغتربة عايشة في الخليج ونازلة تقضي شهرين الأجازة فبتدور على مصر اللي في الكتالوج الموجود في دماغها، واللي مش بالضرورة على الإطلاق يكون هو واقع الحياة اليومي المعاش في كيان هلامي كبير اسمه الحياة في المحروسة.

متقدرش تمسكه علشان هيهوق منك، لكن في نفس الوقت محاولات تحزيمه وتأطيره في صورة تتعلق في الصالون المُدهب والناس تقعد تحتيها تتنهد على "مصر الحلوة ورمضان الجميل بتاع زمان" وده بقى شيء خارج الزمن الحالي وخارج أي محاولة إنك حتى تفكر احنا هنسيب إيه للي بعدينا يفتكرونا بيه.

***

كفاية بقر بقى!!

في تقرير يحمل سمة الطرافة بقدر ما يحمل قفزة ثورية في عالَم الزراعة، قدمت البي بي سي في مايو 2015م وصفًا عن استحداث نظام تكنولوجي تتمكن من خلاله البقر من حلب أنفسهم!

النظام الجديد بيقدم نفسه في صور متتالية من البقرات السمان بيتم زراعة شريحة إلكترونية تحت الجلد، وتبدأ البقرات في التحرك وفقًا للشريحة اللي يمكن اعتبارها "بطاقة هوية" للبقرة تمكنها من حجز مكان في مسارات محددة لكي يتم حلبها.

يعتمد النظام على تحديد "هوية" الأبقار من خلال الشريحة الإلكترونية لتحديد كمية اللبن التي يتم إدرارها، وبالتالي اعتبارها "أوفر الأبقار حظًا" والأولى بالرعاية الغذائية والصحية فيما بعد.

يذهب التصميم الذكي إلى مستوى سريالي من الطرافة الغير مستبعدة للتحقق على أرض الواقع حين يشير أن بإمكان إدخال خاصية تكنولوجية فيما إذا أثارت البقرة شغبًا أثناء عملية الحلب، أو كما ذُكر تسببت بالمتاعب فسيتم إرسال رسالة نصية للمزارع الذي تمّ توصيفه بأنه "ولي أمر البقرة".

على الرغم من أن التقرير أثار جدلًا بين المدافعين عن حقوق "الأبقار" في كل من بريطانيا وهولندا وأستراليا واعتبار التكنولوجيا تتعدى على ما تم وصفه بالرادع الإنساني للممارسة اليومية، فإن نفس التقرير قد يثير جدلًا لا يقل أهمية عن مشهد الأبقار السمان المتراصات بمحاذة إحداهن الأخرى في انتظار الحلب على جانب آخر

من العالَم.

انطلقت منذ قليل صافرة "مارثون الثانوية العامة" في جمهورية مصر العربية، إمتلأت صفحات الأخبار بأسماء وصور شباب وفتيات ملتصق بهم نسبة مئوية تمثل قيمة ما تم تحقيقه من إنجاز في تلك الموقعة التي تصنفها الثقافة المصرية بأنها معركة "مصيرية" فارقة.

عزيزي اللي مستني نتيجة أفشل وأسخف وأحط اختراع اسمه "تنسيق الثانوية العامة" اسمحلي أقولك:

إذا كان البقر في الخبر أعلاه مستني دوره في انتظار تطبيق التكنولوجيا عليه علشان نعرف مين البقرة العفريتة اللي هتدينا إنتاج أكتر، إنت متختلفش عن البقرة بطلة التقرير كتير.

عزيزي القارئ قبل ما تجهز ليستة الشتايم وتتهمني إني بقتل الأمل الأخضر الورور في القلوب الخضرا الورورة برضه في الزمن الأخضر الورور إشمعنا هو يعني اللي مش هيخضر، أحب أعرفك بنفسي محسوبتك "بقرة" سابقة ابتدت عملية التسمين ليها من أُولى ابتدائي من خلال الحشو والتدفيس في صفحات كتير.

وأكاد أقسم بـ"حو افري" العشرين إني مش فاكرة منهم أي كلمة غير نشيد الأبجدية الإنجليزي اللي ارتبط في تعلمي بشكل شرطي بالمزيكا والفساتين الملونة والحفلات الغنائية في نهاية العام الدراسي.

عملية تسميني كبقرة استمرت لحد مرحلة الثانوية العامة واللي الأستك اتشد فيها لأقصى مدى ممكن أشبه بحالة الطواريء في أوقات الحروب.

والحمد لله عدينا وجبنا خرطوم المية وفسيناه في الحيطة المنيعة وعبرنا بمجموع يليق ببقرة مطيعة بتسمع كلام صاحبها وبتاكل كل الـ"برسيم" اللي بيتقدم ليها وبتمضغه وبتهضمه كويس وبتعيد إنتاجه في شكل إجابات شافية كافية و افية في أوراق الامتحانات زي ما شوال "البرسيم" نص بالظبط.

وتم المراد والـ"بقرة" يمكن صورتها مطلعتش مع أو ائل "البقر" لكنها قدرت تلعب في شريحة البقر المتميز اللي كان بينه وبين الدرجة النهائية اللي مفيش حد في أي نظام تعليمي مطلوب منه يحققها أصلًا ولكنه يا للهول كان فاضل على الحلو تكة.

كـ"بقرة" سابقة خليني أقولك إن الأربعين خانة اللي بتملاهم في التنسيق واللي غالبًا هتجيلك منهم الرغبة (32) في جواب مسوكر على باب بيتكم، مش هُمَ دول قيمتك في الحياة، ولا النسبة المئوية اللي وصلتلها هي دي أهميتك، وبلاش تخليها ملتصقة بيك وكأنها جزء أصيل في هويتك اللي لسه بتحسس طريقها علشان تثبت وجودك كإنسان مش كـ"مجموع طالعله راس بني آدم".

خليني أقولك إنك هتخوض حوارات مالهاش لزمة عن الاختيار البرستيجي للكليات والاختيار الجغرافي للأمنيات والاختيار الجندري للتخصصات والاختيار الكلاسيكي "أومال مين هيشيل اسم العيلة ومين هيفتح العيادة من بعدي" (صوت برطمة داخلية انا عايزة افتح كشك أصلًا)، والاختيار النفسي لإشباع رغبات الوالدين اللي مقدروش يحققوها لروحهم في عمرهم فقرروا يخلفوا كائنات شبيهة بيهم مهمتها إنها تدعك الفانوس وترجع بالزمن أكتر من تلاتين سنة علشان تنكش الحياة في شكمجية أحلام الوالدين.

كـ"بقرة" سابقة خليني أقولك إنك عزيزي الحامل للشريحة الإلكترونية اللي مش متشافة ومزروعة تحت جلدك هيتم دفعك دفع علشان تمشي في مسارات محددة سابقًا على عكس رغبتك الحقيقية.

هتقف في طابور طويل ملتحم مع باقي "البقر" وهتتشارك الإحساس الغريب المصحوب بالسؤال البديهي هو أنا ليه مينفعش أدرس اللي بحبه واشتغل اللي بحبه برضه واكمل حياتي بعمل الحاجات اللي بحبها من غير ما اتخانق في الأفراد أو في "نظام حلب البقرة".

هتفضل تتحرك على حسب ذبذبات الشريحة اللي بتشدك بقوة المغناطيس لنهاية المسار علشان تلاقي نفسك بتاخد "ختم" الشفخانة جامعة كذا.

هتخش الجامعة اللي لو صادفت إنها رغبتك فانت هتكون معروف في السنة الأُولى في اليوم الأول من أول شعاع أ هو اللي شايف روحه أو روحها "البقرة المقدسة" اللي قربوا يقدمولها القرابين للعبادة، وإذا كان قرار التنسيق شلوتي النزعة وحدفك على الرغبة الغير متوقعة في آخر اللستة فأحب أقولك حصلت لـ"بقر" قبلك فاثبت كده علشان إنت و افد المزرعة الجديد.

كـ"بقرة" سابقة بتكتشف إن سنين عمرك في الجامعة تقدر تسكنها تحت تشابتر "مفيش"، وزي ما خرجت من ابتدائي بنشيد الأبجدية غالبًا هتخرج من الجامعة بفكرة أو اتنين والكثير جدًا من الولاحاجة، وزي ما البقر بيختموها في الشفخانة علشان يتأكدوا إنها صالحة للاستهلاك الآدمي بيختموك انت برضه.

و انت متخرج من الجامعة. هيدوك شهادة "كبيرة" بس محدش هيفهمك يعني إيه "كبيرة" ومقاسها الكبير ده مقارنة بمين ومع أنهي شهادة تانية في بلد تانية.

يا صديقي اللي مستني السمنة من بطن النملة وقاعد على أحر من الجمر مستني تنسيق الثانوية العامة أنا مش عايزاك تحبط لإننا يا عزيزي كلنا "بقر".

إحنا السابقين حاولنا نتمرد على الشريحة المغروسة في الجلد ويمكن وصلنا متأخر شوية، لكن انت كـ"بقر" مستجد لسه قدامك فرصة.

استقبل نسبتك المئوية اللي الست الوالدة بتضيف عليها عشرة في المية وهي بتتباهى قدام الجيران واعرف إن الرقمين دول مش هُمَ قيمتك الفعلية.

خض معركتك بشجاعة في اختيار الكلية اللي عارف ومتأكد إنك هتقدر تنجح فيها، لو عندك ضلالات مجتمعية وهلاوس عائلية بفعل الضغط المستمر احسم خوفك بدري رد عليهم ببساطة إن شاء الله الصبح بدري هنجيب اتنين رجالة شداد هيشيلوا اسم العيلة ويطوحوه لأبعد نقطة ممكنة، وركز انك تكتشف نفسك إنسانيًا ومعرفيًا في مجال يناسب قدراتك وتحمل نتيجة اختياراتك بكل شجاعة.

ابني لنفسك طريقة للتعلم عن الحياة كلها تكون أكبر من حيطان مدرسة أو جامعة أو مدرج لسه بيفصلوا فيه البنات عن الولاد أحسن الخطيئة تقع لو كوعك خبط في إيد زميلتك، و أكبر من مقررات تقدر

تقراها كلها بضغطة زرار على الإنترنت.

اخلق لنفسك مساحة حرة للتفكير والاختيار باللي يناسبك، وصحي فضيلة الشك المنسية.

ببساطة اتعلم انك تجهز روحك للدنيا "الكبيرة" مش بالشهادة ال "كبيرة" اللي هيختموك بيها كمواطن "بقرة" صالح لم يثر شغبًا طيلة فترات انتظاره للحلب المتوحد مع شريحته المتسق مع مساره المحدد سلفًا.

استعد لكن بدماغ "كبيرة" تكون قادرة إنها تفند وتزيل الغشاوة من كل اللي هيتباعلك بعد كده في ورق سوليفان سواء من البشر أو الو اقع.

أتمنالك عتبة جديدة لحياة تشبه روحك وتفاصيلك.

وك"بقرة" سابقة أحب أبلغك سلام باقي البقر اللي بيحاولوا يتأقلموا جوه الشفخانة لغاية ما نتشعبط في جلابية ثورة نؤمن فيها أنَّ التعليم والتعلم هم في الأصل حرية واختيار.

وساعتها هنهتف بصوت واحد "كفاية بقربقى".

***

يا حيوان

لمَّا بنحب نشتم حد بنقوله "يا حيوان".

والحقيقة أنا معرفش هل دي فعلًا شتيمة ولَّا حاجة حلوة واحنا مش واخدين بالنا.

دايمًا بنصف أي شذوذ في السلوك الإنساني إنه تحول وبقى على رأي زينات صدقي في ابن حميدو "إنسان الغاب طويل الناب".

هل فعلًا الصفات المنزوعة منها تاتش الإنسانية ينطبق عليها الصفة الحيو انية؟

وهل أصلًا ينفع نقارن بين عالمين ممكن يتقاطعوا في نقط تشابه بس هل المقارنة بتكون لتفضيل عالَم عن عالَم آخر؟

من زمان بسأل نفسي إيه نوع التكريم اللي حصل عليه الإنسان في كونه إنسان مثلًا؟

أنا في البداية كنت فاكرة إنه ميزة العقل اللي هتخليه يقدريدير حياته ويتعرف مثلًا على الكون حواليه أو على اللي خلق الكون ذاته فيعبده.

لكن هل ده حقيقي؟ هل العقل هو الميزة اللي بتفرَّق الإنسان عن غيره من العوالم سواء حيوان أو نبات أو أي عوالم تانية ممكن تتوجد في أكوان تانية موازية.

اللي بشوفه إن أي ذرة عقل زيادة أو أي مهارة تفكير زيادة عن

المتعارف عليه بتسبب لصاحبها نوع من الشقاء الإنساني العجيب المستحق فعلًا للدهشة.

هل الإنسان المغيب العقل أسعد حالًا؟

منعرفش بس اللي نعرفه إنه مرفوع عنه الحساب والمحاسبة والتفسير والتأويل لتصرفاته فبالتالي هو مش شقي هو سعيد بحالة غياب العقل... احتمال!

هل الإنسان عقله قدر يسعده؟

هنقول عمل الاختراعات والحبشتكانات والأدوية والفن والمزيكا والتمثيل والمسرح، بس كل القنوات دي هي طريقة الإنسان اللي عنده فولت كهربا عالي في دماغه وعقله علشان يتعايش مع و اقع هو ماختاروش.

محدش بيختار يبقى إنسان ولَّا حيوان ولَّا نبات، اللي حصل انك اتقيدت في الدفاتر في سيكشن الإنسنانات فقمت الصبح بالليل و انت مقتنع انك أحسن حالًا من كل السيكشنز التانية.

أنا مش هتكلم عن السيكشنز التانية، أنا هتكلم عن عالَم الحيوان اللي ابتدى معايا من بداية تعرفي على النمل والصراصير و اني كطفلة مخفتش منهم يمكن لأن كان عندي أخين بيحبوا يعملوا دراسات ميدانية على الحشرات دول.

ولمَّا كبرت ابتدى يتشكل جوه مني الخوف الغير مبرر اللي بيكبر جو انا من كل حاجة متشبهناش، فابتديت أخاف من كل كائن على أربع لدرجة سألت نفسي هو مين اللي خايف من التاني؟

مش يمكن زي ما انا خايفة منهم هو أو هي كمان مستقلين دمي وشايفين إني كائن مختلف ماشي على اتنين ومعندوش ديل، يبقى منطقيًا إن الخوف متبادل.

ليه أنا اتعاملت مع تعاملي مع الحيوان من منطق الخوف، وعلشان أخرج من دايرة الخوف قفزت على دايرة أشد قبحًا وهي دايرة السيطرة فبقى الحيوان ده لازم يخضع لي ويسمع كلامي.

و ابتديت اتطور في علاقتي بالحيو انات للدرجة اللي بتخليني أتعاطف مع الاحصنة بتاعت الحناطير في شوارع مدينتنا العجيبة اللي لسه محتفظة بالحناطير ولا هي اهتمت بيهم ولا هي اداتهم بديل أكثر إنسانية للتعايش والتعاطف مع منظرركيهم المتقرح أو أجسامهم الهزيلة جدًا واللي مضطرين يجروا بيها عيلة فشيخة وزن كل فرد فيهم لا يقل عن 100 كجم.

وإمعانًا في الإهانة العيلة الفشيخة قادرة انها تعمل صخب كوني غير مسبوق لمجرد انهم فكروا ينزلوا يركبوا حنطوروبتفسحوا.

وفي أول زيارة ليا ف السيرك حسيت بالبؤس الشديد وكنت على وشك إني أقوم لولا إني افتكرت إني تلقيت دعوة كريمة من ناس أكثر كرمًا لحضور السيرك حيث الحيو انات بتتجرد من كل حاجة وبتتلقى طلقات مُخدرة علشان تبان قدامنا انها أليفة ومطيعة، وفي الحقيقة هي متخدرة لدرجة انها بتتطوح قدامنا واحنا هلكانين من الضحك.

مش عارفة مين الأكثر بؤس الحيو انات اللي خضعت للسيطرة و اتحطت في أقفاص بغير إرادتها لمجرد انها اتكتبت في السيكشن انها حيو انات.

ولا اللي بره القفص اللي مقتنع إنه كده انتصر في معركة ما وقدر يوصل لطوبة جديدة في نظرية البهجة. (يا خي طوبة لما تقع على دماغك تفشفشها).

الدايرة بتاعتي دلوقتي بقت عبارة عن حيوانات... أينعم.

يعني بتعرف على الحيوان الأول وبعدين ببني علاقتي مع العيلة اللي بتربيه.

بقى عندي حالة انسحاب من عالَم الإنسانات وانتماء لعالَم تاني معرفش عنه كتير، لكنه قادر على إنه يدهشني وهو عالَم الحيوانات.

كتير كنت بسمع العبارة العظيمة طب ما تكفلي طفل يتيم مثلًا، أو تطلعي اللي بتصرفيه على الحيوانات على حد محتاج.

وساعتها كنت بستغرب من المنطق المغرق في العبث المقترن إن فيه أفضلية في الرحمة ودايمًا الأفضلية محسومة طبعًا لصالح البني آدمين.

العبث المقترن بمنطق ده حيوان ما يموت، طب ما احنا كوووولنا هنموت.

ومنطق الرحمة عندي هو المنطق اللي بيتعاطف مع أضعف حلقة واللي معندوش أوبشن تاني غير انك تترقف بيه وتحاول تصحي إنسانيتك من خلاله مش علشانه علشانك انت.

المنطق بتاعي إني مش محتاجة أبرر تصرفاتي ولا احدد أولوياتي في ضوء الأجندة المجتمعية اللي هُمَ أصلًا محدش بيهتم بيها، بيطلعوها

فجأة من دولاب دماغهم من على رف الحكمة والفضيلة لمَّا بيتعلق الموضوع بالفلوس ومين أولى بيها.

الموضوع ده مبقاش محل جدال بالنسبة لي لأنه اتحسم خلاص، لكن السؤال اللي فعلًا مش لاقية ليه إجابة: هل الإنسان اتكرم فعلًا بعقله، ولَّا شقي بيه؟!!

هل الإنسان أفضل من الحيوان بدرجة تسمحله إنه يتكبر ويتعنتظ عليه ويفرض عليه سيطرته ولا لا؟

كان نفسي اتخيل حوار مثلًا مع قط أو فار أو فيل والمذيع مثلًا بيقرب منهم الكاميرا وبيقولهم إيه رأيكوا لو عندنا أوبشن الخلق من أول وجديد؟

والخالق ادالك العصاية السحرية وممكن تبقى تن... تن... أو تان... تان.

يا ترى هتختار تبقى حيوان ولا هتبقى إنسان؟

الإجابة اللي اعرفها هي إجابة القطط، أعتقد انها هتقول لا طبعًا و انا هبلة علشان ابقى عايشة حياتي زيكم، أنا هفضل قطة، واعيش قطة، واموت قطة.

ولمَّا تصعب عليا نفسي واسألها طب ليه شايفة إن العيشة كقطة يعني أحسن؟

فهتوقع إن الإجابة هتكون أنا باكل كويس، بلعب في الوقت اللي بحبه، بمارس جنس مع اللي يستهويني.

ولمَّا بطلع الشارع وخلاص زنقت ومفيش أي مجال للقتال بيبقى

الموت والبقاء طبعًا للأقوى.

المعركة محسومة يا عزيزتي الإنسانية، أنا معنديش (code of ethics) اتحاسب عليه.

وحتى لو افترضنا أن عوالم الحيوانات ليها لغة وكودز ودنيا تانية لوحدها، المؤشرات الخارجية بتقول إن تحدياتهم في الحياة محسومة.

وفوق كده معندهومش المعضلة الأولية مين هيخش الجنة ومين هيخش النار.

وبالتالي الحياة مش متحاسبة.

استني بس عندك يا ست المذيعة مين قالك، أكيد فيه نار للقطط وجنة ليهم برضه.

انتي بتتكلمي ف إيه... استغفر الله العظيم... انتي هتكفرينا ولَّا إيه... غوري بعيد عن وشي أنا مش هكمل البرنامج.

وتمشي القطة بعيد وتسيبني مع نفس السؤال:

يا ترى التكريم للإنسان كان بإية!!!

يا ترى العقل.

طب ماذا عن الإرادة "إنه يختار"؟

مش يمكن مكنش اختاريبقى إنسان وكده.

بعد الرغي الشنيع ده، بطلوا تقولوا يا حيوان، علشان أصلها مش شتيمة.

ربوا أي نوع من الحيوانات هتغير دنيتكم تمامًا.

وأخيرًا... أمنية هكتبها في جدول الأمنيات:

"في يوم هتخلى عن كل حاجة وكل حد، وهروح أعيش في أي محمية طبيعية في أفريقيا".

أنا مش هعمل للحيوانات حاجة، أنا هصبَّح عليهم كل يوم الصبح و اقولهم... أ نا بقى الإنسان، احمدوا ربنا على اللي انتوا فيه.

بس كده.

***

توتة توتة مبتخلصشي الحدوتة

يوم الجمعة الصبح، هدايا الكون العشوائية الجميلة خلتني اتورط في قراية حدوتة أطفال عن "عصفور" مهيض الجناح في يوم صحي من النوم ولقى كل العصافير بتصوصو وهو مش عارف.

ولأن مامته "حبها ليه" أكبر من إنها تقوله إنه مش عارف "هي قالتله انا بحبك حتى لو مكنش عندك صوت".

العصفور لقى في محبة أمه حاجة جميلة قدرت انها تقلل من توتره إنه "مش عارف يصوصو" زي بقية العصافير. العصفور كان حاسس بألم لإنه "مش عارف" أو يمكن لأنه مش حاسس إن ليه "مهمة" يقدر يقوم بيها.

بالرغم من تأكيد مامته إنها بتحبه حتى وهو مش عارف يصوصو، بس التأكيد ده فضل يضعف، وهيجان روحه فضل يعلى ويغلوش على صوت مامته اللي بيأكدله طول الوقت إنه "محبوب".

لغاية ما في يوم دخل على مامته العش وقالها أنا هروح أدور على صوتي، مش يمكن أنا مش عصفور أصلًا.

مامته اتفاجأت شوية بس عرفت إنه واقف في نقطة مؤلمة وأي مراسيل تأكيد محبة ووجودها مش هيفيده، فأطلقت سراحه، وقالتله طيب خلاص طير ودور.

وفعلًا، الحدوتة بتفضل تاخدنا لمَّا العصفور الصغير بيقابل تقريبًا كل انواع الحيوانات والطيور، من أول الغراب لأبو قردان

للضفدع. وفي كل مَرة بيقابلهم بيحكيلهم إنه مالوش صوت، في كل مَرة بيحاول، وهم بيردوا عليه "بصوتهم" هُمَ.

أوقات كان بيقفش نفسه بيقلد نفس "صوتهم" وبيفشل تمامًا. وبيرجع الألم جوه منه أقوى وأشد. قابل كل اللي جم في سكته، وبعدين في لحظة قرر إنه يمكن هو مش عصفور فعلًا ويمكن هو مالوش صوت برضه، وخلاص يعني "أنا بدور على إيه أصلًا" راح فارد جناحاته ورجع ناحية العش، ناحية مامته، علشان قرر إنه أول حاجة هيحكيهالها إنه حاول ودور وفتش وقابل الضفدع والغراب وأبوقردان وإنه متاكد إنه مش ده "صوته" بس حس إن الألم أخف المرة دي.

أول ما وصل العش بتاعه، شاف مامته، ابتدى يحكيلها، أول ما فتح منقاره لقى الصوصوة اللي كان بيدور عليها. إيه ده أنا "بغني".

هو لمَّا رجع ليها كان عايز يحكيلها كل اللي قابله في سكته، وتقريبًا كان خلاص هينسى موضوع صوته، فلقى إن "صوته" كان موجود طول الوقت، وانه كان محتاج يرجع "يعشش" علشان يبقى عنده حكايات بصوته هو تخلي غنوته هو بتاعته.

مامته كانت مستنياه طول الوقت، هي كانت بتحبه لمَّا شافت حيرته وهو بيدور "هو إنه عصفور ولا لأ"، وكانت بتحبه لمَّا شافت ألمه إنه مش قادر يصوصو، وكانت بتحبه لمَّا أطلقت سراحه، وكانت بتحبه لمَّا ملت الوقت في غيابه بالصبر، وكانت بتحبه وهي مش مستنية منه أي صوصوة، صوصوة إيه يا نيلة أصلًا، وكانت بتحبه لمَّا رجع العش وابتدى يرغي أو يصوصو، وأكتر من كده ابتدى "يعشش".

يعني إيه بيت؟

فيه واحد من الأفلام، البطلة قالت جملة فضلت ترن في ودني: «إنت خبيت نفسك مني وخلتني وحيدة في العلاقة، زي ما أكون قاعدة في بيت شقة شكلها حلو بس أنا جواها كنت لوحدي جدًا». الجملة دي خلتني أدور هو يعني إيه بيت؟

في الإنجليزي دايمًا كان بيشار للفرق بين Home & House وبيتحقق الانتصار لكلمة Home بإسباغ عليها معاني مختلفة بتتفق مع احتياج الإنسان الفطري إن يبقى ليه "موضع" سواء مادي أو معنوي.

ومن ضمن المعاني المحببة ليا جدًا في وصف كلمة "Home" هو الوصف التالي اللي قالته Brene Brown في كتابها البديع (Daring Greatly).

"Home is where we can be our bravest selves and our fearful selves. Where we practice difficult conversations and share our shaming moments from school and work. where we need to listen to the sentence "I'm with you". In the arena. And when we fail، we will fail together while daring greatly. home is where I could be loved for my vulnerabilities، not despite of them".

Brene Brown– Daring greatly: p. 56

وترجمته هي: "البيت هو المكان اللي تقدر تشارك وتظهر أجزاء ذاتك الشجاعة وكذلك تلك المنفية الخائفة، إنه المكان الذي يمكن أن نقوم بكل المحادثات الصعبة التي يتعذر علينا إعلانها خارجه. إنه المكان الذي يمكننا أن نتشارك لحظات مرت بنا في المدرسة والعمل شعرنا بالخزي والعار دون أن يتم تأنيبنا أو وصفنا أو الطلب المتكرر بإدعاء الشجاعة.

إنه المكان الذي نحب أن نسمع فيه جملة "نحن سنشد عضدك، حتى وإن حدث الفشل فسنكون بجوارك".

إنه المكان الذي يتم الاحتفاء بقدرتنا وشجاعتنا على مشاركة هشاشتنا وأن نتلقى المحبة لذلك، لا أن نُحب على مضض لكوننا هشين لاحول لنا ولا قوة".

في اللغة العربية، فيه "منزل" وفيه "بيت" وفيه "سكن" وممكن يكون فيه أكتر بس انا مش عارفة، وفي المعجم اللغوي "سكن" معناها استأنس به واستراح إليه واطمأن.

الآية القرآنية "وخلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها"، أنا مش عارفة ليه بيتم التدليل عليها في الزواج فقط. كتير من الناس بتروح لفعل "تسكنوا إليها" للإشارة لمعنى الأنس والطمأنينة والاستراحة ودي معاني قيمة للغاية، لكن مفيش توقف عند الترتيب القرآني "الخلق" "لكم" "من أنفسكم"، ومن وجهة نظري ده مهم علشان توصل للمعنى "تسكنوا".

في أحد القبائل الهندية القديمة عندهم حدوتة عن الخلق بيصوروها بتعبان أخضر ليه عنين كل شوية بتبص لديلها وبعدين

بتلف لفة فبيتغير لونها وبعدين ترجع تاني، تبص لديلها ويتغير لونها واللفة اللي بعدها تبقى أكبر.

خلينا نحط فرضية كده ونختبرها سوا: إن البيت هو الأمان اللي بتحسه في كل مرة بتاخد لفتك في الدنيا علشان تعيد خلق نفسك.

فكرة الخلق وإعادته تناولته الديانات والأساطير والحواديت، وعلم النفس دايمًا بيشاور عليه في محاولة "تجلي الذات العليا".

إيه علاقة ده بالسكينة والسكن، على حدود فهمي الشخصي جدًا إن الترتيب القرآني مبهر في إنه بيشاور إن الطريق للوصول للسكينة مش بفعل "الزواج" قد ما فيه إشارة إلى احتياج الذات لإعادة خلقها وتخلقها عدد غير محدد من اللفات ممكن يخلي جزء من الذات العليا "يتجلى".

لحظة الانكشاف أو التنوير أو الرؤية هي مرحلة الشجاعة في الوقوف على أجزاء الروح الشجاعة والخائفة والهشة والمستحقة للشفقة والشريرة وكافة التنويعات اللي مش بتتكشف غير بإذن إلهي على عدد غير معلوم من "اللفات" لو رجعنا لأسطورة القبيلة الهندية.

وهنا ييجي الترتيب "أزواجًا" وكأن مرحلة الوصول للسكينة "الذاتية" وقبول تجليات الذات الآنية والشجاعة ومحبة الأجزاء اللي لم تتكشف بعد هيتبعها الوجود الإنساني في ثنائية "أزواجًا".

الاختيار الشخصي بالوقوف وحيدًا مش هي الطبيعة الإنسانية في الكشف عن الذات لأن التحدي بيكون في مدى الشجاعة في مشاركة أجزاءنا "التي لا تدعو للفخر" مع شخص آخر، والمحبة الحقيقية والقبول من الطرف الآخر مش بس للحظة تكريم الشجاعة

بمشاركة القصة ولكن بالقبول والفهم إن لسه فيه "لفات" تانية كل طرف لوحده هيحتاج يلفها علشان يبص زي التعبان بعنين كل شوية بتلبس عدسات مختلفة وبتشوف شيء مختلف وبالتالي بتعيد "تخليق" ذاتها مَرة تانية.

الإيقاع الفردي مش هو الفطرة، لأن الإيقاع بيحصل لمَّا بتبتدي تزعق بصوتك مع موجات الهوا فاهتزازها هو اللي بينقل "نشازك" وبيخليك تسمعه.

وبعد كده بتوصل بالفهم ده "للسكينة" أو السكن في معناه الأشمل وهو إن روحك تطمئن بوجود مادي أو معنوي.

وساعتها ممكن يتحقق معنى "Home"زي ما أشارت ليه برينيه فوق، بتلاقي مكان مادي أو معنوي، شخص ليه وجود حقيقي استحق من خلال لفات اتبنت فيها الثقة بينكم إن ما هيتم مشاركته من لحظات هشة، هيتم الاحتفاء بيها بمجرد التأكيد بالقبول إن "هنا ودلوقتي ومعايا" تقدر أجزاء روحك المنفية الخائفة تلاقي ليها "قبول" فـ"تستكين".

وهنا بيتبني "سكن" أكبر من البيت، الآية القرآنية "لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ" فرّقت بشكل واضح جدًا بين البيت والسكن.

وده أشبه بالوضع الحالي إن الناس تبدو كأنها عايشة في "أماكن" بس مبتقدرش تطرح ذاتها الحقيقية فبتستخبى ورا دروع بتلتصق بيها لدرجة أن ضريبة التخلص من الدرع ده بيكون انسلاخ من الجلد ومن الذات الحقيقية.

وفيه ناس عايشة في علاقات بتعمل نفس الخدعة واللي فيلم"her" قالي جملتين بديعتين "إنت خبيت نفسك مني، أنا كنت وحيدة في العلاقة"، الافتقاد للوجود الإنساني الحقيقي اللي بيقبل هشاشتك وكليتك وحقك في "اللفات" اللي بتتطور بيها روحك وبتعلن عن نفسها بطريقتها وبإيقاعها وبتوقيتها اللي مش بيخضع لمسطرة الزمن وحصار الرقم الخالي من المعنى، هو اللي بيخلي الروح "جعانة" سكن.

وعلشان كده كل شوية والتانية الواحد بيسأل نفسه أنا عندي "مكان" ولَّا "منزل" ولَّا "بيت" ولَّا "سكن" ولَّا كلهم ولَّا واحد منهم ولَّا حاجة أخرى؟!

***

نسيت اعمل لقلبي حجاب!

في الحدوتة اللي أخدناها في ابتدائي بتاعت السلحفاة والأرنب، فيه إعادة قراءة ليها من كذا زاوية وبخاصة في الوقت اللي ثقافة "الجري" و"لازم نلحق" مسيطرة حوالينا وما يتبعها من تأنيب ضمير "ليه مجرناش كفاية".

على حسب الحدوتة السلحفاة بتوصل بوقتها وبطبيعتها، والأرنب كمان –المفروض– يوصل بوقته وطبيعته، وإن كان المفروض في الأساس إن ميكونش فيه سباق وميكونش فيه الروح الشريرة بتاعت يلا نهي مين اللي وصل الأول، لأن في حقيقة الأمر كله هيوصل من جوه طبيعته وكله هيوصل ومش لازم الوصول يكون مرتبط بخط نهاية مستني على أطر افه ناس كتير بتسقف.

لأن غالبًا الناس اللي بتسقف شوية و إيديها هتوجعها وهتمشي وهترجع تسقف على حاجات تانية متخصهاش واللي قاعدين يا ولداه يجروا جوه المتاهة.

في تقاليد القبائل الهندية القديمة، بيتم الاحتفاء بالسلحفاة بس مش علشان "فازت" زي ما بتقولنا الحدوتة، ابدًا بيحتفوا بيها وهي جزء من رموز ثقافتهم بشكل إنهم بيعملوا منها حجاب. أيوة عُلاقة صغيرة على شكل سلحفاة بيصنعوها من جلد غزال (ليه جلد غزال ده ليه دلالة تانية)، العُلاقة دي بيحنطوا فيها "مشيمة الطفل" بيشوفوا إن ده آخر حبل متشاف بيربط بين الأم وبنتها وده من ضمن طقوس احتفالهم باستقبال المولودة الأنثى.

السلحفاة الحجاب بالنسبة ليهم هي عبارة عن صلاة سرية بطول العمر للبنت، البنت في القبيلة هي مصدر القوة والقدرة على الخلق وتمرير الطقوس من جيل لجيل.

بيتم خياطة العُلاقة السلحفاة اللي جواها المشيمة في هدوم المولودة الطفلة علشان تفكرها إنها محمية دايمًا بروح وطاقة السلحفاة.

السلحفاة بتكمل في الثقافة الروحانية، بيحتفلوا مع الطفلة بأول حلم ليها، آه والله أول ما تشوف حلم بيحتفلوا بيها (فينك يا كارل يا يونغ يا حبيبي فرهدت نفسك في كتاب أحمروخلافه والحاجات سهلة أهي).

مراسم الاحتفال عبارة عن إنهم بيطبخوا شوربة السلحفاة. القبائل القديمة مؤمنين بقوة وطاقة الأحلام (من غير تحليلها يا فرويد ولا يا يونغ يا ابني)، وشايفين إن كل حلم مهما كان وراه حكمة قوية قد تصل إنها تكون مقدسة.

بنتنا بتحكي عن أول حلم ليها، بيسقوها شوربة السلحفاة اللذيذة (بصوت رمضان السكري) علشان يفكروها دايمًا إنها هتمشي في الدنيا محمية بروح قوية مقدسة بتتجلى أحيانًا في السلحفاة. وأن الروح المقدسة دي، هتتواصل دايمًا معاها وتكلمها من خلال الأحلام وهتبعتلها علامات.

"الحجاب" من الحاجات المثيرة جدًا اللي ممكن تلاقيها اتكررت في ثقافات حرفيًا هم مقابلوش بعض، كفر طهشنا في جنوب مصر مثلًا، وقبائل هندية قربت ع الانقراض في أمريكا ع الناحية التانية

من العالم.

تحريمه كان جزء من تطور الأديان نفسها إنها تلغي "تجسيم" الروح المقدسة، لكن في نفس الوقت والأديان بتتطوروبتلغي وبتحرم "مقدسات" قد تبدو شعبوية ولا ترتقي لـ"قدسية" الدين، أخدت في سكتها ومحت معاها دلالة الأشياء دي في ثقافة الناس، ومعنى "التجسيم" والاحتياج ليه في بعض الأوقات في التطور الروحاني.

المهم إن عندنا حدوتة للأطفال اسمها الأرنب مفزشي، والسلحفاة العظيمة فازت، وبنسمعها ومش بنسأل فازت بإيه وليه ومين وفين وبيفضل في ذهننا إحساس الجري المستمر علشان نلحق، نلحق ايه محدش عارف، المهم لازم نلحق.

والمهم إن الحمد لله مش هنشرب شوربة سلاحف علشان أصلًا محدش بيحتفل بينا إحنا برنا أهو، إحنا يا سعادة البيه بيقولونا اكبروا فكبرنا وبقينا محتاسين زي ما الكبار بيحتاسوا وبعدين لازم نجري مش فاضين نسأل يعني إيه نكبر ولا نخش ازاي في الكبران ده ونجيب حجاب منين يحمينا واحنا بنكبر!! المهم لاااااازم نجري.

والأهم بقى بالنسبالي في اليوم المفترج ده، محمد قنديل وهو بيغني "نسيت اعمل لقلبي حجاب".

آه والله يا حبيبي قول قول قول!

***

تاتا خطي العتبة

في مَرة زارتني طفلة مكملتش سنة، كنا تلات ستات أو كائنات كبيرة عاقلة قاعدين على كراسي الأنتريه. الطفلة اتسلتت من على حِجر مامتها و ابتدت تكتشف الأرض، وبعدين ابتدت تعمل صداقات مع رجلين الكراسي لأنها كانت الارتفاع الوحيد اللي على مستوى نظرها.

في لحظة معينة قررت هووووب تقف على رجليها، أنا فاكرة المنظر لمَّا كانت بتتني روكبها حبة وبعدين تفردهم تاني وبعدين تتني روكبها، مفهمتش هي عايزة تقف ولا عايزة تمشي ومين اللي قالها انها علشان تقف لازم تفرد رجليها وتشد روكبها ولا مين قالها علشان تمشي لو قررت إنها محتاجة روكبها مش متنية.

المهم الطفلة قررت انها تفرد روكبها وبعدين عملت أول خطوة بالاستناد على الكرسي فردت ضهرها أكتر. المسافة بين الكرسي بتاع مامتها والكرسي بتاعي كان تقريبا 20 سم، ومفيش بينهم أي مسند.

فضلت تعمل خطوات برجليها الصغيرة وهي لسه متبتة على رجلين كرسي مامتها. وفجأة وقفت بين الكرسين، لأن دراعها مش هيسمحلها انها تفضل متبتة في رجلين الكرسي الأول، ودراعها القصير برضه مش قادر يوديها دلوقتي لرجلين الكرسي التاني.

وقفت شوية كده وف ثانية واحدة ابتدت تعيط، ساعتها احنا وقفنا الكلام و ابتدينا ننتبه، صديقتنا التالتة هبت و اقفة لإنقاذ البنت، بصينا عليها و اتأكدنا إن مفيش خطر بالنبسالها و اننا قريبين

منها وأي احتمالية وقوع احنا موجودين وهنسندها.

فاكرة برضه اننا قررنا أنا ومامتها لا سيبيها متمسكيهاش، البنت فضلت تعيط شوية واحنا فضلنا نسمَّعها صوتنا اننا موجودين حواليها بس ممسكنهاش، وقفت عياط، نزلت على روكبها، زحفت زحفاية وبعدين وصلت لرجلين الكرسي التاني وهناك وقفت تانية روكبها وأعادت نفس المشهد بتاع رجلين الكرسي الأولاني تتني روكبها شوية تشد ضهرها ترجع تتني روكبها لغاية ما ف لحظة بصت لنا فاحنا فهمنا وكلنا سقفنا الله بر افو شطورة انتي جميلة وبعدين وقفت شوية عند رجلين الكرسي التاني لغاية ما تقريبًا زهقت وبعدين قررت تنزل على الأرض تزحف وتكتشف علبة البسكوت في مكان تاني.

أنا مش عارفة إيه التطور اللي حصل في النص اللي خلانا نحول العياط لارتباك الوقوف بين رجلين كرسي 1 وكرسي 2 ميبقاش

عياط معلن، وإمتى التطور حول لحظة الوقوف العاجز دي لكادرات كتيرزي الاختباء في الجلد وجوه الجلد أولبس ماسكات المرح والبهجة أو توجيه لكمات الغضب للآخرين في المحاولة الصوتية الساذجة لطلب المساعدة بس هي بتطلع غضب أولربما في جوهرها هي زعل من اللحظة اللي بنقف فيها بين كرسيين ومضطرين نسيب الأول و إيدينا مش طايلة التاني.

يمكن بيفرق في لحظة الارتباك دي ولحظة التحميل على الروكب ومفاصل الروح اننا نسمع صوت حوالينا يقولنا "أنا معاك" مش لازم يقولنا خطبة عن قيمة "الكراسي ولا رجليها" ولا عن قيمة "المحاولة والتجريب" ولا يهب ينجدنا وينقذنا أحسن يا ولداه هنقع على بوزنا،

ولا إنه يعدل مسارات بوجه "مستني منك أي حاجة في أي ناحية" وبيقولنا "أنا معاك علشان أنا شايف ألم لحظة الوقوف المرتبك اللي أنت فيها" الصوت اللي مش لازم يقولنا قد إيه كان أمان حجر أمك واما انت كنت متبت في رجلين الكرسي الأولاني، و إيه لزمة تروح هناك ما الكرسي ده زي الكرسي التاني.

الصوت اللي بير اقب في صبرومحبة ومش بيحسسك إنه بير اقب ولا مستني هو صوت مشغول بدنيا تانية لكنه موجود حواليك موجود وعينه عليك حتى لو مش متوجهة ليك بشكل مباشر أو بتتابع ماتش أوليمبيات الوصول بين الكرسيين.

إن الصوت موجود وبيقولك إنه معاك ممكن يخليك توصل، وهو دايمًا الناس بتوصل مكنتش المشكلة انها توصل للكرسي ولا للكنبة، يمكن كانوا محتاجينا لو قررت في لحظة معينة انها خلاص هتوقف ومش لاعبين وهتستسلم لـ"وهم الوصول" للنقطة دي.

مجرد الصوت اللي مش لازم الصغيرين يختبروا وجوده في مرحلة اختبار مفصلات روحهم، روكبهم، قدرتهم على الوقوف لفترة زمنية قد إيه، وقدرتهم على إفلات الإيد من الكرسي الأولاني والعينين اللي رايحة على كرسي هناك مش هو الهدف في حد ذاته أو يمكن في وقت ما بيكون كده، بس المحاولة في الوصول و اكتشاف قدرتك انك تعمل ده، و اكتشاف اللحظة اللي بتقرر تعيط زي العيال أو تتخفى بحيل الكبار العاقلين أو تقف وتزحف وتاخد نفس وتكمل أو إنك تسامح كل المحاولات أو عدمها لمَّا تقول نفسك إن الألم ممكن تستقبله بطريقة أرحم لمَّا يكون فيه صوت بيقولك "أنا معاك"، خد وقتك.

يعني إيه حُب؟!

بقالي فترة مش قليلة بختبر "يعني إيه حُب؟"، الدوايرالمفرغة اللي بتبتدي من أول اللي بيتعرض لأذى مقصود أوغيرمقصود، واعي أوغيرواعي من الدايرة الأُولى اللي مش بيختارها وهي عيلته، محاولات التملص من الأذى بالتعرف عليه مع إبقاء مسافة آمنة لعدم التعرض لأذى بيستوجبه ضرورة القرب لكن بيفضل دايمًا حتة ناقصة، شيء غيرمشبع، جوع مستمر.

الدايرة اللي بعديها أنا مبخترش عيلتي إذن نعمل بقى عيلة بديلة سواء بقرارتكوين عيلة فعليًا بشكلها الرسمي أوبقرارالانتماء لكومينتي فيه رابطة تشبه العيلة الأولية، دايرة الأذى الجديد وإعادة استنساخه في شكل جديد، الدايرة اللي بتبتدي بـ"أنا هركز علشان المَرة دي باختياري" لغاية الانتهاء بـ"مفيش صاحب بيتصاحب" ومرورا بـ"كله بيمشي".

الدايرة بتاعت آه البني آدم محتاج علاقة واحدة مشبعة إنسانيًا فتلاقي نفسك بتفرزكل الزيطة اللي عدت عليك علشان تقفش في أم العلاقة دي، وبيصعب عليك نفسك شوية من كل الزيطة اللي بتنزل على مفيش وبتحس انك بتحرت في مية، الدايرة بتاعت لأ ما هو انت مش هتحس بالحُب ولا هتقدرتدي غيرلمَّا تحب نفسك، سواء بقى حب نفسك ودلعها ولَّا خد حبوب الشجاعة وخش الأوضة الضلمة في قلبك ومتخافش.

الدايرة بتاعت مش نافع حُب البني آدمين فالحل اننا نحب

الحيوانات ونبوس الشجر ونمشي في الشوارع وندور عليه في خرم إبرة، وفي الآخر نروح واحنا معانا قدر لا بأس بيه من الوهم يساعدنا على ابتلاع الخيبة والإحباط المحتمل.

الدايرة بتاعت نزرع زرعاية ونشوفها بتدبل وبعدين بتكبر وبعدين نقعد نتنهد الله احنا بقى في أنهي مرحلة، إحنا بندبل ولّا بنورق ولّا احنا الباترن بتاعنا مش نباتي فليه متشعلقين إن الحل مكتوب في الخلايا النباتية.

الدايرة بتاعت نتورط في علاقة مع شخص وهي تورط لإنه حُب معجون بأذى، الأذى الخفي اللي بيتسرسب لكل خلايا جسمك، معجون بفحيح اللغة المراوغة "أنا هكون معاكي، أنا ف ضهرك، أنا بحبك" وكل الوعود اللي أكبر من إنها تتأطر في لغة ولا نحطها في جملة ونقفل عليها بنقطة في النهاية، وننساها وننسى إن يا ريت منقولهاش إلّا لو فعلًا هنتحمل مسئوليتها وهنشيل أمانتها.

دوا ير دوا ير دوا ير وعلى رأي الست وردة "بنلف نلف نلف". العلاقات معقدة مش مختلفة عن تعقيد العالَم، والكون بحاله، بس ده مش كفاية علشان يخليني أحس بإنه لا بأس في ذلك.

العلاقات معقدة ومجهِدة ومن المريح جدًا إن في وقت ما نزعل، نزعل جدًا، نزعل خالص، نروح للحزن لآخره على الفقد اللي مش هينفع يتعوض خلاص "الفقد المرتبط بالحُب" اللي وصلنا بعد عناء إننا نستحقه مش لشيء غير إننا يعني جينا الدنيا دي بكل خناقاتها دي فأقل ترضية لينا إننا نتحب ووجودنا يتم الاحتفاء به، بس للأسف الوصول ده مكنش متبوع بأيوة بقى خلاص التعويذة اتفكت

والمغارة هتتفتح على الكنز جواها وهندوق من المحبة لمَّا نتكرع.

طلع مفيش، مفيش غيردو ايربتراهن في كل مَرة بتلف جواها على قدرتك على ممارسة تمارين كشفك لنفسك، تفسح مكان ع الكنبة لشخص تاني أو أشخاص أو حتى أفكار تيجي تقعد جنبك على الكنبة لغاية ما تقضي مصلحتها وتاخد واجبها وتمشي.

آه ما هي هتمشي، علشان ميعاد الزيارة خلص، والاستشارة خلاص وهم و انت دفعتوا الفزيتا كاملة والاتفاق المكتوب أو اللي مش مكتوب كان كده فمشيوا، قدرتك على مراوغة الحزن و انت بتتأمل وبتتألم وبتسأل نفسك يا ترى هو أنا اللي غلطان إني اشتريت كنبة كبيرة وعزمت عليها كتير، مش يمكن كان كرسي صغير كفاية، ولَّا ما خسرناش برضه قعدنا حبة حلوين وملينا زمزية الوهم بمية وسكر اهم يسندونا علشان مندروخش ونقع.

وبعدين تقعد مع نفسك وتقول ما هُمَ "بشر" بنحاسهم على إيه، بس إحنا مش بنحاسهم إحنا محتاجينهم، محتاجين وجودهم المطمئن في لحظات الانهيار، الوجود العابر في جدوره لكنه بيبيع نفسه على إنه أصيل وحقيقي وممتد ومؤذي، الوجود العشوائي الواعد بإنه لا ابدًا لا يمكن احنا مش "عشوائيين"، مؤذي لأن البشر متصلين، جعانين للتجذر، عندهم ميل فطري للزراعة اللي بتتطلب وقت وجهد وصبر وحزن وثبات ومعلش الشجرة مطرحتش النهاردة نستنى شوية، نختار نبقى يمكن يكون الاختيار اليائس اللي ما احنا هنبقى علشان معندناش اختيار تاني وضهرنا في "الحيط".

أو لربما وده احتمال لسه مقابلتوش البقاء لأن فيه اختيار واعي

بالبقاء وسبق منه اختيار واعي بالاختيار اصلًا.

فكل ده محصلش، والدوا ير فضلت تلف، مَرة توسع ومَرة تضيق، مَرة يبقى عليها تيكت ومَرة يبقى معليهاش، مَرة يبقى ليها خناقة ومَرة تيجي زي موجة المية، مَرة تبقى مصحوبة بتنهيدة اللي بيحط حمل من على كتافه ويقول لنفسه خلاص "حمد لله على سلامة الوصول" ومَرة بتكون مصحوبة بهمهمات صلاة سرية "أتمنى تكون دي اللفة الأخيرة".

مَرة تكون مصحوبة بحضن كبير يساع كل البشر، ومَرة يكون فيها تخلي كامل عن البشر، دوا ير بتلف تلف تلف.

الإيمان بمحبة الإله أوقات بيكون الخلاص والصلاة والصلة والتجرد والتخلي والسمو والبلوغ والترقي اللي هيعين على إن البني آدم يكسر الدوران مؤقتًا بس لإنهم بشر مخلوقين من "عشم في احتمالية لا بس هو فيه" هيرجعوا من وقت للتاني يلفوا في الدوا ير. دوا ير دوا ير دوا ير.

يمكن فيه جزء من الإيمان بأن المحبة "هنا" بره كل الدوا ير دي هي في الوصول للتخلي، إفلات اليد من التمسك أصلًا بالدوا ير بكل معطياتها بالرغم من النهيق المستمر والرغبة في وصم وجلد الذات "أصلك محاولتش كفاية، ياأخي".

السماح للروح إنها تحزن وف نفس الوقت تاخد وقتها إنها يصعب عليها روحها انه فضلت "تسعى تسعى تسعى" وإن يعني محدش مغسل وضامن جنة ويكفيك شرف المحاولة. والسماح للروح المنهكة برضه انها تعترف لنفسها إنها محتاجة لاستراحة. مش علشان ترجع تلف في

الترس بسرعة أكبر، بالعكس يمكن علشان تتخلى أصلًا عن محاولة المحاولة في حد ذاتها.

يمكن وقتها المحبة هتحصل في الفعل الرحيم العشوائي اللي هتمارسه بوعي وتديله مية قلبك بالكامل مع ناس "غرباء" وإنت بتتمشى في شوارع مخنوقة وزحمة، هتمارس الفعل ده مع شخص غريب، وهتمشي خطوة وهتنسى انت عملت إيه أطلقت سراح نفسك انك "تحتاجله" أو تستنى منه إنه يوطد علاقته معاك، أو إنه يشوف فيك اختيار حقيقي ممكن يزرع فيه ويختار يبقى.

انت بتعمل الفعل الرحيم وبتسيب، على قد دراعك بتسيب، وعلى قد خطوتك بتمشي وعلى قد الخذلان في قلبك بتسامحه لإنه "غريب"، وبتبت بس في إنك في لحظة ما مارست فعل الرحمة والمحبة، والفعل خلاص أطلقت سراحه وسراحك معاه إنك تفضل تلف في دوايربتدورعلى الحتة الناقصة، يمكن لأنها مكنتش ناقصة، هي مكنتش موجودة بالأساس.

***

كما نثق بكتابنا نثق بصوتك / هنا نصغي إليك!

الهالة للنشر والتوزيع
AL HALA PUBLISHING & DISTRIBUTION

تواصل معنا، ونحن نسمعك!
https://www.facebook.com/alhalapublishing
info@alhalapublishing.com
يمكنك التواصل أيضا مع المؤلفة / r.azizeldin@gmail.com